رسالة في أحوال المؤمنين في عهد فرعون

البراء بن محمد

1443هـ/2022م


بسم الله الرحمن الرحيم

استهلال

قال تعالى: ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين (٥) ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾ [القصص]

مقدمة

الحمد لله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على رسوله خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، فهذه رسالة وجيزة في أحوال أهل الإيمان وأخبارهم في زمان فرعون وهامان، مستمدة مما جاء في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وأقوال المفسرين والمؤرخين. كتبتها تسلية لمن ابتلي في دينه، وتثبيتًا لمن استيأس أو كاد من نصر الله تعالى، وزيادة لإيمان كل مسلم يحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

فنسأل الله أن يسدد القول والعمل، وأن يرحمنا برحمته التي وسعت كل شيء، وأن يتفضل علينا بعفوه ومغفرته، وأن يربط على قلوبنا، وأن يثبتنا على دينه العظيم.

والحمد لله رب العالمين.

البراء بن محمد

فجر الثلاثاء 25-9-1443هـ

26-4-2022م

توطئة

جاء في صحيح البخاري: عن خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ قال: ((كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه، فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون)).

وفي رواية أبي داود: "فجلس محمرا وجهه فقال" الحديث.

تنبيهات

التنبيه الأول: ذكرت نصوص العلماء مجردة على طريقة الأقدمين لا الأكاديميين، لاستمدادي من الباحث القرآني، والتفاسير العظيمة. وهما مظنة الدقة الشديدة في النقل من المطبوع، ولأنني أحببت أن أعجل في إخراج الرسالة في شهر رمضان، مع ضيق الوقت، وضعف الجهد، وانشغال الخاطر. والله أسأل أن يغفر لي ما يعن فيها من تقصير وخطأ. لذا أنشد قارئ الرسالة أن يبادرني بنصحه وتصحيحه إن وجد فيها خللًا وعيبًا.

التنبيه الثاني: إذا نقلت نقلًا مطولًا من كتاب ما، ورأيت أن أستأنفه من موضع آخر، فإنني نبهت على ذلك بقولي "وقال بعد قليل".

التنبيه الثالث: "من أسند لك فقد أحالك". وحسبي في هذه الرسالة الإشارة لا الاستقصاء. فلا ينبغي بالقارئ الحصيف أن يقتصر عليها دون ما كتبه العلماء المحققون.

التنبيه الرابع: لم أعتن بالتشكيل ولا التنوين في أكثر المواضع. وهو خلل مني للعجلة.

التنبيه الخامس: قد أتتبع أحوال موسى عليه السلام وفرعون اللعين في رسالة أخرى.

التنبيه الأخير: خصصت لكل فصل من الرسالة صفحة لا يشركه فيها غيره، فأفضى ذلك إلى بياض كثير في الصفحة. وليس ذلك من سقط في الكلام أو خلل في الإخراج. فتنبه.

فصل في دين فرعون

قال تعالى: ﴿فقال أنا ربكم الأعلى﴾ [النازعات]

قال تعالى: ﴿وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحًا لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين﴾ [القصص]

وقال تعالى: ﴿قال لئن اتخذت إلهًا غيري لأجعلنك من المسجونين﴾ [الشعراء]

وقال تعالى: ﴿قال فرعون وما رب العالمين﴾ [الشعراء]

وقال تعالى: ﴿قال فمن ربكما يا موسى﴾ [طه]

وقال تعالى: ﴿قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم﴾ [الأعراف]

وقال تعالى: ﴿وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك﴾ [الأعراف]

قال السمرقندي: "ويذرك وآلهتك وذلك أن فرعون كان قد جعل لقومه أصناما يعبدونها، وكان يقول لهم هؤلاء أربابكم الصغار، وأنا ربكم الأعلى. فذلك قوله تعالى: ويذرك وآلهتك يعني: يدعك ويدع أصنامك التي أمرت بعبادتها. وروي عن عمرو بن دينار عن ابن عباس

أنه كان يقرأ ويذرك وآلهتك يعني: عبادتك وتعبدك. قال ابن عباس: كان فرعون يعبد ولا يعبد" انتهى.

قال الثعلبي: " قال ابن عباس: كان لفرعون بقرة يعبدها وكانوا إذا رأوا بقرة حسناء أمرهم أن يعبدوها، ولذلك أخرج السامري لهم عجلا.

وروى عمرو عن الحسين قال: كان لفرعون حنانة معلقة في نحره يعبدها ويسجد عليها كأنه صنم كان عابده يحن إليه.

وروي عن ابن عباس أيضا أنه قال: كان فرعون يصنع لقومه أصناما صغارا ويأمرهم بعبادتها ويقول لهم: أنا رب هذه الأصنام، وذلك قوله أنا ربكم الأعلى.

قال أبو عبيد: وبلغني عن الحسن أنه قيل له: هل كان فرعون يعبد شيئا؟ قال: نعم كان يعبد تيسا.

وقرأ ابن مسعود وابن عباس وبكر بن عبد الله الشعبي والضحاك وابن أبي إسحاق: إلهتك بكسر الألف أي إلهك فلا يعبدك كما تعبد. قالوا: لأن فرعون كان يعبد ولا يعبد.

وقيل أراد بالآلهة الشمس وكانوا يعبدونها" انتهى.

قال الفخر الرازي: "وأما قوله: ﴿وآلهتك﴾ قال أبو بكر الأنباري: كان ابن عمر ينكر قراءة العامة، ويقرأ إلاهتك "أي عبادتك، ويقول: إن فرعون كان يعبد ولا يعبد، قال ابن عباس: أما قراءة العامة" وآلهتك "فالمراد جمع إله، وعلى هذا التقدير فقد اختلفوا فيه، فقيل: إن فرعون كان قد وضع لقومه أصناما صغارا، أمرهم بعبادتها. وقال: أنا ربكم الأعلى ورب هذه الأصنام؛ فذلك قوله: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ وقال الحسن: كان فرعون يعبد الأصنام. وأقول: الذي يخطر ببالي أن فرعون إن قلنا: إنه ما كان كامل العقل لم يجز في حكمة الله تعالى إرسال الرسول إليه، وإن كان عاقلا لم يجز أن يعتقد في نفسه كونه خالقا للسماوات والأرض، ولم يجز في الجمع العظيم من العقلاء أن يعتقدوا فيه ذلك؛ لأن فساده معلوم بضرورة العقل. بل الأقرب أن يقال: إنه كان دهريا ينكر وجود الصانع، وكان يقول: مدبر هذا العالم السفلي هو الكواكب، وأما المجدي في هذا العالم للخلق ولتلك الطائفة والمربي لهم فهو نفسه، فقوله: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ أي مربيكم والمنعم عليكم والمطعم لكم. وقوله: ﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾ أي لا أعلم لكم أحدا يجب عليكم عبادته إلا أنا. وإذا كان مذهبه ذلك لم يبعد أن يقال: إنه كان قد اتخذ أصناما على صور الكواكب، ويعبدها ويتقرب إليها على ما هو دين عبدة الكواكب، وعلى هذا

التقدير: فلا امتناع في حمل قوله تعالى: ﴿ويذرك وآلهتك﴾ على ظاهره، فهذا ما عندي في هذا الباب، والله أعلم" انتهى.

ونقل الطبطبائي كلام الرازي الآنف وتعقبه قائلًا: "وقد أخطأ في ذلك فليس معنى الألوهية والربوبية عند الوثنيين وعبدة الكواكب خالقية السماوات والأرض بل تدبير شيء من أُمور العالم كما احتمله أخيراً، ولا في الدهريين من يعبد الكواكب، ولا في الصابئين وعبدة الكواكب من ينكر وجود الصانع.

بل الحق أن فرعون - كما تقدم - كان يرى نفسه رباً لمصر وأهله، وكان إنما ينكر كونهم مربوبي إله آخر على قاعدتهم لا أنهم أو غيرهم من العالم ليسوا مخلوقين لله سبحانه" انتهى.

قال الطاهر ابن عاشور: "وقوله (ويذرك) عطف على ليفسدوا فهو داخل في التعليل المجازي؛ لأن هذا حاصل في بقائهم دون شك، ومعنى تركهم فرعون، تركهم تأليهه وتعظيمه، ومعنى ترك آلهته نبذهم عبادتها ونهيهم الناس عن عبادتها.

والآلهة جمع إله، ووزنه أفعلة. وكان القبط مشركين يعبدون آلهة متنوعة من الكواكب والعناصر وصوروا لها صورا عديدة مختلفة باختلاف العصور والأقطار، أشهرها (فتاح) وهو أعظمها عندهم وكان يعبد بمدينة (منفيس)، ومنها (رع) وهو الشمس وتتفرع عنه

آلهة باعتبار أوقات شعاع الشمس. ومنها (أزريس) و(إزيس) و(هوروس) وهذا عندهم ثالوث مجموع من أب وأم وابن. ومنها (توت) وهو القمر وكان عندهم رب الحكمة. ومنها (أمون رع) فهذه الأصنام المشهورة عندهم وهي أصل إضلال عقولهم.

وكانت لهم أصنام فرعية صغرى عديدة مثل العجل (إيبيس) ومثل الجعران وهو الجعل.

وكان أعظم هذه الأصنام هو الذي ينتسب فرعون إلى بنوته وخدمته، وكان فرعون معدودا ابن الآلهة وقد حلت فيه الإلهية على نحو عقيدة الحلول، ففرعون هو المنفذ للدين، وكان يعد إله مصر، وكانت طاعته طاعة للآلهة كما حكى الله - تعالى - عنه فقال ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ ما علمت لكم من إله غيري" انتهى.

قال محمد رشيد رضا: "وجمهور المفسرين على أن المراد بتركه وآلهته: عدم عبادته وعبادتها، وقرأ ابن عباس: (وإلاهتك) أي: عبادتك. ومن المعلوم من التاريخ المستمد من العاديات المستخرجة من أرض مصر أنه كان للمصريين آلهة كثيرة منها الشمس، واسمها في لغتهم (رع) وهو متضمن في لقب فرعون فهو عندهم سليل الشمس وابنها، وسننقل بعد جوابه لهم أثرا يدل على ذلك، ويذكر فيه بعض هذه الآلهة" انتهى.

وقال بعد قليل: "والمرجح عند المتأخرين من المؤرخين الواقفين على العاديات المصرية أن فرعون موسى هو الملك (منفتاح) وكان يلقب بسليل الإله (رع) وقد جاء في آخر الأثر

المصري الوحيد الذي ذكر فيه بنو إسرائيل (وهو المعروف برقم ٣٤٠٢٥ المحفوظ في متحف مصر) أن مصر هي السليلة الوحيدة للمعبود (رع) منذ وجود الآلهة وأن " منفتاح " سليلة أيضا، وهو الجالس على سدة المعبود " شو " وأن الإله " رع " التفت إلى مصر فولد " منفتاح " ملك مصر، وشيء له أن يكون مناضلا عنها فتخنع له الولاة، ولا يرفع أحد من البدو رأسه، فخضع له القيروانيون والحيثيون والكنعانيون وعسقلان وجزال وينعمام" انتهى.

فصل في عدة من آمن بموسى عليه السلام

قال تعالى: ﴿فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم وإن فرعون لعال في الأرض وإنه لمن المسرفين﴾ [يونس]

قال الماتريدي: "وقوله - عز وجل -: ﴿فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه﴾.

يحتمل قوله: ﴿من قومه﴾ من قوم موسى لما قيل: إن موسى كان من أولاد إسرائيل، فهم من ذريته من هذا الوجه، يقال: أهل بيت فلان وإن لم يكن البيت له.

ويحتمل قوله: ﴿إلا ذرية من قومه﴾ من قوم فرعون فهو نسب إليه لما ذكرنا. وقال أهل التأويل: أراد بالذرية القليل منهم، أي: ما آمن منهم إلا القليل، ولكن لا ندري ذلك.

وقوله - عز وجل -: ﴿فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون﴾.

يحتمل: ما آمن من آمن من قومه إلا على خوف من فرعون وملئه أي: آمنوا، أي: وإن خافوا من فرعون وملئه.

ويحتمل ما ترك من قومه الإيمان بموسى من ترك إلا على خوف من فرعون أن يفتنهم أي: يقتلهم ويعذبهم" انتهى.

قال السمرقندي: " قال الله تعالى: فما آمن لموسى يعني: ما صدق بموسى إلا ذرية من قومه يعني: قبيلته من قومه الذين كانت أمهاتهم من بني إسرائيل، وآباؤهم من القبط. وروى مقاتل، عن ابن عباس أنه قال: إلا ذرية من قومه، يعني: من قوم موسى وهم بنو إسرائيل، وهم ستمائة ألف. وكان يعقوب حين ركب إلى مصر من كنعان في اثنين وسبعين إنسانا، فتوالدوا بمصر حتى بلغوا ستمائة ألف. ويقال: إلا ذرية من قومه، يعني: خربيل وهو الذي قال في آية أخرى: وقال رجل مؤمن من آل فرعون" انتهى.

قال الثعلبي: " إلا ذرية من قومه فقال قوم: هي راجعة إلى موسى وأراد بهم مؤمني بني إسرائيل.

قال ابن عباس: كانوا ستمائة ألف وذلك أن يعقوب عليه السلام دخل مصر في اثني وسبعين إنسانا فتوالدوا بمصر حتى بلغوا ستمائة ألف.

وقال مجاهد: أراد بهم أولاد الذين أرسل إليهم موسى إلى بني إسرائيل لطول الزمان هلك الآباء وبقي الأبناء، وقال آخرون: الهاء راجعة إلى فرعون.

روى عطية عن ابن عباس: هم ناس يسير من قوم فرعون آمنوا منهم امرأة فرعون، ومؤمن آل فرعون وخازن فرعون وامرأة خازنه وماشطته.

وروي عن ابن عباس من وجه آخر: أنهم سبعون أهل بيت من القبط من آل فرعون وأمهاتهم من بني إسرائيل فجعل الرجل يتبع أمه وأخواله" انتهى.

قال الواحدي في البسيط: " قوله تعالى: ﴿فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه﴾ الآية، قال الفراء: فسر المفسرون الذرية: القليل، قال ابن الأنباري: من المفسرين من يذهب إلى أن الذرية معناها هاهنا تقليل عدد المؤمنين؛ لأن الأكابر وأولي الأنساب العالية ممن لم يؤمنوا كانوا أكثر عددا من الذرية، وهذا قول ابن عباس في رواية قتادة قال: الذرية: القليل.

واختلفوا في هؤلاء الذرية من هم؛ فقال ابن عباس: كانوا ستمائة ألف من بني إسرائيل، وعلى هذا سموا ذرية؛ لأن يعقوب عليه السلام دخل مصر في اثنين وسبعين إنسانا، فتوالدوا بمصر حتى بلغوا ستمائة ألف، كانوا ذرية ذلك القوم الذين دخلوا مصر مع يعقوب من أولاده، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء.

وقال مجاهد: أراد بهم أولاد الذين أرسل إليهم موسى من بني إسرائيل، لطول الزمان هلك الآباء، وبقي الأبناء، وهذا القول اختيار إسحاق؛ لأنه قال: إنه مكث يدعو الآباء فلم يؤمنوا وآمنت طائفة من أولادهم، وعلى هذين القولين (الهاء) في (قومه) كناية عن موسى.

وقال ابن عباس في رواية عطية: هم ناس يسير من قوم فرعون آمنوا، منهم امرأة فرعون وماشطة ابنته، ومؤمن آل فرعون ونفر يسير، وروي عنه أيضا: أنهم قوم كان آباؤهم من القبط وأمهاتهم من بني إسرائيل" انتهى.

قال الماوردي: " قوله عز وجل: ﴿فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه﴾ فيه أربعة أوجه: أحدها: أن الذرية القليل، قاله ابن عباس. الثاني: أنهم الغلمان من بني إسرائيل لأن فرعون كان يذبحهم فأسرعوا إلى الإيمان بموسى، قاله زيد بن أسلم. الثالث: أنهم أولاد الزمن قاله مجاهد. الرابع: أنهم قوم أمهاتهم من بني إسرائيل وآباؤهم من القبط.

ويحتمل خامسا: أن ذرية قوم موسى نساؤهم وولدانهم.

﴿على خوف من فرعون وملئهم﴾ يعني وعظمائهم وأشرافهم.

﴿أن يفتنهم﴾ فيه وجهان: أحدهما: أن يعذبهم، قاله ابن عباس. الثاني: أن يكرههم على استدامة ما هم عليه" انتهى.

قال الزمخشري: " فما آمن لموسى في أول أمره إلا ذرية من قومه إلا طائفة من ذراري بنى إسرائيل، كأنه قيل: إلا أولاد من أولاد قومه. وذلك أنه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون، وأجابته طائفة من أبنائهم مع الخوف. وقيل: الضمير في قومه لفرعون، والذرية: مؤمن آل فرعون، وآسية امرأته، وخازنه، وامرأة خازنه، وماشطته. فإن قلت: إلام يرجع الضمير في قوله وملائهم؟ قلت: إلى فرعون، بمعنى آل فرعون، كما يقال: ربيعة ومضر. أو لأنه ذو أصحاب يأتمرون له. ويجوز أن يرجع إلى الذرية، أي على خوف من فرعون وخوف من أشراف بنى إسرائيل، لأنهم كانوا يمنعون أعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى أنفسهم. ويدل عليه قوله أن يفتنهم يريد أن يعذبهم" انتهى.

قال ابن عطية: " واختلف المتأولون في عود الضمير الذي في "قومه"، فقالت فرقة: هو عائد على موسى عليه السلام، وقالت فرقة: هو عائد على فرعون، فمن قال إن العود على موسى عليه السلام قال: معنى الآية وصف حال موسى عليه السلام في أول مبعثه أنه لم يؤمن به إلا فتيان وشباب أكثرهم أولو آباء كانوا تحت خوف من فرعون ومن ملإ بني

إسرائيل، فالضمير في "الملإ" عائد على الذرية، وتكون الفاء -على هذا التأويل- عاطفة جملة على جملة لا مرتبة. وقال بعض القائلين بعود الضمير على موسى عليه السلام: إن معنى الآية أن قوما أدركهم موسى عليه السلام ولم يؤمنوا به، وإنما آمن ذرياتهم بعد هلاكهم لطول الزمان، قاله مجاهد، والأعمش، وهذا قول غير واضح، وإذا آمن قوم بعد موت آبائهم فلا معنى لتخصيصهم باسم الذرية، وأيضا فما روي من أخبار بني إسرائيل لا يعطي هذا، وهيئة قوله: ﴿فما آمن﴾ تعطي تقليل المؤمنين به، لأنه نفى الإيمان ثم أوجبه للبعض، ولو كان الأكثر مؤمنا لأوجب الإيمان أولا ثم نفاه عن الأقل، وعلى هذا الوجه يترجح قول ابن عباس رضي الله عنهما في الذرية: "إنه القليل"، لا أنه أراد أن لفظة الذرية هي بمعنى القليل كما ظن مكي وغيره. وقالت فرقة: إنما سماهم ذرية لأن أمهاتهم كانت من بني إسرائيل وآباؤهم من القبط، فكان يقال لهم:الذرية كما قيل لفرس اليمن: الأبناء، وهم الفرس المنتقلون مع وهرز بسعاية سيف بن ذي يزن، والأمر بكماله في السير. وقال السدي: كانوا سبعين أهل بيت من قوم فرعون.

قال القاضي أبو محمد رحمه الله: ومما يضعف عود الضمير على موسى عليه السلام أن المعروف من أخبار بني إسرائيل أنهم كانوا قوما قد تقدمت فيهم النبوات، وكانوا في مدة فرعون قد نالهم ذل مفرط وقد رجوا كشفه على يد مولود يخرج فيهم يكون نبيا، فلما

جاءهم موسى عليه السلام أصفقوا عليه واتبعوه، ولم يحفظ قط أن طائفة من بني إسرائيل كفرت به، فكيف تعطي هذه الآية أن الأقل منهم كان الذي آمن؟ فالذي يترجح -بحسب هذا- أن الضمير عائد على فرعون، ويؤيد ذلك أيضا ما تقدم من محاورة موسى عليه السلام ورده عليهم وتوبيخهم على قولهم: "هذا سحر"، فذكر الله ذلك عنهم، ثم قال: فما آمن لموسى إلا ذرية من قوم فرعون الذين هذه أقوالهم، وروي في ذلك أنه آمنت زوجة فرعون وخازنه وامرأة خازنه وشباب من قومه، -قاله ابن عباس رضي الله عنهما- والسحرة أيضا فإنهم معدودون في قوم فرعون، وتكون القصة -على هذا التأويل- بعد ظهور الآية والتعجيز بالعصا، وتكون الفاء مرتبة للمعاني التي عطفت" انتهى.

قال ابن الجوزي: " قوله تعالى: ﴿فما آمن لموسى إلا ذرية﴾ في المراد بالذرية هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أن المراد بالذرية: القليل، قاله ابن عباس.

والثاني: أنهم أولاد الذين أرسل إليهم موسى، مات آباؤهم لطول الزمان وآمنوا هم، قاله مجاهد، وقال ابن زيد: هم الذين نشؤوا مع موسى حين كف فرعون عن ذبح الغلمان. قال ابن الأنباري: وإنما قيل لهؤلاء " ذرية " لأنهم أولاد الذين بعث إليهم موسى، وإن كانوا بالغين. والثالث أنهم قوم، أمهاتهم من بني إسرائيل، وآباؤهم من القبط، قاله مقاتل،

واختاره الفراء. قال: وإنما سموا ذرية كما قيل لأولاد فارس: الأبناء، لأن أمهاتهم من غير جنس آبائهم" انتهى.

قال أبو حيان: " الظاهر في الفاء من حيث أن مدلولها التعقيب: أن هذا الإيمان الصادر من الذرية لم يتأخر عن قصة الإلقاء. والظاهر أن الضمير في قومه عائد على موسى، وأنه لا يعود على فرعون، لأن موسى هو المحدث عنه في هذه الآية، وهو أقرب مذكور.

ولأنه لو كان عائدا على فرعون لم يظهر لفظ فرعون، وكان التركيب على خوف منه. ومن ملئهم أن يفتنهم، وهذا الإيمان من الذرية كان أول مبعثه إذ قد آمن به بنو إسرائيل قومه كلهم، كان أولا دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون، وأجابته طائفة من أبنائهم مع الخوف. وقال مجاهد والأعمش: معنى الآية أن قوما أدركهم موسى ولم يؤمنوا، وإنما آمن ذراريهم بعد هلاكهم لطول الزمن. قال ابن عطية: وهذا قول غير صحيح، إذا آمن قوم بعد موت آبائهم فلا معنى لتخصيصهم باسم الذرية.

وأيضا فما روي من أخبار بني إسرائيل لا يعطي هذا وينفيه قوله: فما آمن، لأنه يعطي تقليل المؤمنين به، لأنه نفى الإيمان ثم أوجبه لبعضهم، ولو كان الأكثر مؤمنا لأوجب الإيمان أولا ثم نفاه عن الأقل، وعلى هذا الوجه يتخرج قول ابن عباس في الذرية: أنه القليل، لا أنه أراد أن لفظ الذرية بمعنى القليل كما ظن مكي وغيره.

وقالت فرقة: إنما سماهم ذرية لأن أمهاتهم كانت من بني إسرائيل، وإماؤهم من القبط. رواه عكرمة عن ابن عباس: فكان يقال لهم: الذرية كما قيل لفرس اليمن: الأبناء، وهم الفرس المنتقلون مع وهوز بسعاية سيف بن ذي يزن.

وممن ذهب إلى أن الضمير في قومه على موسى ابن عباس قال: وكانوا ستمائة ألف، وذلك أن يعقوب عليه السلام دخل مصر في اثنين وسبعين نفسا، فتوالدوا بـ مصر حتى صاروا ستمائة ألف. وقيل: الضمير في قومه يعود على فرعون، روي أنه آمنت زوجة فرعون وخازنه وامرأة خازنه وشباب من قومه. قال ابن عباس أيضا: والسحرة أيضا فإنهم معدودون في قوم فرعون.

وقال السدي: كانوا سبعين أهل بيت من قوم فرعون. قال ابن عطية: ومما يضعف عود الضمير على موسى عليه السلام أن المعروف من أخبار بني إسرائيل أنهم كانوا قوما قد فشت فيهم السوآت، وكانوا في مدة فرعون قد نالهم ذل مفرط، وقد رجوا كشفه على يد مولود يخرج فيهم يكون نبيا، فلما جاءهم موسى عليه السلام أصفقوا عليه وبايعوه، ولم يحفظ قط أن طائفة من بني إسرائيل كفرت به، فكيف تعطي هذه الآية أن الأقل منهم كان الذي آمن، فالذي يترجح بحسب هذا أن الضمير عائد على فرعون. ويؤيد ذلك أيضا

ما تقدم من محاورة موسى ورده عليهم، وتوبيخهم على قولهم هذا سحر، فذكر الله ذلك عنهم ثم قال: فما آمن لموسى إلا ذرية من قوم فرعون الذي هذه أقوالهم.

وتكون القصة على هذا التأويل بعد ظهور الآية والتعجيز بالعصا، وتكون الفاء مرتبة للمعاني التي عطفت، انتهى.

ويمكن أن يكون معنى ﴿فما آمن﴾، أي: ما أظهر إيمانه وأعلن به إلا ذرية من قوم موسى، فلا يدل ذلك على أن طائفة من بني إسرائيل كفرت به" انتهى.

قال ابن كثير: "يخبر تعالى أنه لم يؤمن بموسى، عليه السلام، مع ما جاء به من الآيات البينات والحجج القاطعات والبراهين الساطعات، إلا قليل من قوم فرعون، من الذرية -وهم الشباب -على وجل وخوف منه ومن ملئه، أن يردوهم إلى ما كانوا عليه من الكفر؛ لأن فرعون كان جبارا عنيدا مسرفا في التمرد والعتو، وكانت له سطوة ومهابة، تخاف رعيته منه خوفا شديدا.

قال العوفي: عن ابن عباس: ﴿فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم﴾ قال: فإن الذرية التي آمنت لموسى، من أناس غير بني إسرائيل، من قوم فرعون يسير، منهم: امرأة فرعون، ومؤمن آل فرعون، وخازن فرعون، وامرأة خازنه.

وروى علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه﴾ يقول: بني إسرائيل. وعن ابن عباس، والضحاك، وقتادة (الذرية) : القليل.

وقال مجاهد في قوله: ﴿إلا ذرية من قومه﴾ يقول: بني إسرائيل. قال: هم أولاد الذين أرسل إليهم موسى، من طول الزمان، ومات آباؤهم. واختار ابن جرير قول مجاهد في الذرية: أنها من بني إسرائيل لا من قوم فرعون، لعود الضمير على أقرب المذكورين.

وفي هذا نظر؛ لأنه أراد بالذرية الأحداث والشباب وأنهم من بني إسرائيل، فالمعروف أن بني إسرائيل كلهم آمنوا بموسى، عليه السلام، واستبشروا به، وقد كانوا يعرفون نعته وصفته والبشارة به من كتبهم المتقدمة، وأن الله تعالى سينقذهم به من أسر فرعون ويظهرهم عليه؛ ولهذا لما بلغ هذا فرعون حذر كل الحذر فلم يجد عنه شيئا. ولما جاء موسى آذاهم فرعون أشد الأذى، و ﴿قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون﴾. وإذا تقرر هذا فكيف يكون المراد إلا ذرية من قوم موسى، وهم بنو إسرائيل؟

﴿على خوف من فرعون وملئهم﴾ أي: وأشراف قومهم أن يفتنهم، ولم يكن في بني إسرائيل من يخاف منه أن يفتن عن الإيمان سوى قارون، فإنه كان من قوم موسى، فبغى عليهم؛ لكنه كان طاويا إلى فرعون، متصلا به، متعلقا بحباله" انتهى.

قال الطبطبائي: "والمراد بالذرية من قوم موسى بعض الضعفاء من بني إسرائيل دون ملئهم الأقوياء والشرفاء، والاعتبار يساعد على ذلك فإنهم جميعاً كانوا أُسراء للقبط محكومين بحكمهم بأجمعهم، والعادة الجارية في أمثال هذه الموارد أن يتوسل الشرفاء والأقوياء بأي وسيلة أمكنت إلى حفظ مكانتهم الاجتماعية وجاههم القومي، ويتقربوا إلى الجبار المسيطر عليهم بإرضائه بالمال والتظاهر بالخدمة ومراءاة النصح والتجنب عما لا يرتضيه فلم يكن في وسع الملأ من بني إسرائيل أن يعلنوا موافقة موسى على بغيته، ويتظاهروا بالإيمان به.

على أن قصص بني إسرائيل في القرآن أعدل شاهد على أن كثيراً من عتاة بني إسرائيل ومستكبريهم لم يؤمنوا بموسى إلى أواخر عهده وإن كانوا يتسلّمون له ويطيعونه في عامة أوامره التي كان يصدرها لبذل المساعي في سبيل نجاة بني إسرائيل لما كان فيها صلاح قوميتهم وحرية شعبهم ومنافع أشخاصهم، فالإطاعة في هذه الأمور أمر والإيمان بالله وما جاء به الرسول أمر آخر" انتهى.

فصل في امرأة فرعون

قال تعالى: ﴿وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين﴾ [التحريم]

قال الطبري: " حدثني إسماعيل بن حفص الأبلي قال: ثنا محمد بن جعفر، عن سليمان التيميّ، عن أَبي عثمان، عن سلمان، قال: كانت امرأة فرعون تعذّب بالشمس، فإذا انصرف عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها، وكانت ترى بيتها في الجنة.

حدثنا محمد بن عبيد المحاربيّ، قال: ثنا أسباط بن محمد، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان، قال: قال سليمان: كانت امرأة فرعون، فذكر نحوه.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن هشام الدستوائي، قال: ثنا القاسم بن أبي بزة، قال: كانت امرأة فرعون تسأل من غلب؟ فيقال: غلب موسى وهارون. فتقول: آمنت بربّ موسى وهارون؛ فأرسل إليها فرعون، فقال: انظروا أعظم صخرة تجدونها، فإن مضت على قولها فألقوها عليها، وإن رجعت عن قولها فهي امرأته؛ فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء، فأبصرت بيتها في السماء، فمضت على قولها، فانتزع الله روحها، وألقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿ وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون﴾ وكان أعتى أهل الأرض على الله، وأبعده من الله، فو الله ما ضرّ امرأته كُفر زوجها حين أطاعت ربها، لتعلموا أن الله حكم عدل، لا يؤاخذ عبده إلا بذنبه" انتهى.

قال السمرقندي: " ثم ضرب الله مثلا للمؤمنين، فقال عز وجل: وضرب الله مثلا للذين آمنوا يعني: بين الله شبها وصفة للمؤمنين الذين آمنوا. امرأت فرعون، فإنها كانت صالحة، لم يضرها كفر فرعون، فكذلك من كان مطيعا لله لا يضره شر غيره ويقال: هذا حث للمؤمنين على الصبر في الشدة، يعني: لا تكونوا في الصبر عند الشدة أضعف من امرأة فرعون، صبرت على إيذاء فرعون. إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة وذلك أن فرعون لما علم بإيمانها، فطلب منها أن ترجع، فأبت ولم ترجع عن إيمانها، فوتدها بأربعة أوتاد في يديها ورجليها، وربطها وجعل على صدرها حجر الرحى، وجعلها في الشمس. فأراها الله تعالى بيتها في الجنة، ونسيت ما هي فيه من العذاب، وضحكت، فقالوا عند ذلك: هي مجنونة تضحك، وهي في العذاب.

وروى أبو عثمان النهدي، عن سلمان الفارسي قال: كانت امرأة فرعون تعذب في الشمس، فإذا ذرت، أي: طلعت الشمس وارتفعت، أظلتها الملائكة بأجنحتها، وأريت مقعدها من

الجنة. وروى قتادة، عن أنس، عن النبي ﷺ أنه قال: ((حسبك من نساء العالمين أربع مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ﷺ وآسية امرأة فرعون)).

ثم قال الله عز وجل: رب ابن لي عندك بيتا في الجنة يعني: ارزقني في الجنة.

ونجني من فرعون وعمله يعني: من عذاب فرعون وظلمه. ونجني من القوم الظالمين يعني: من قوم فرعون، يعني: من تعييرهم وشماتتهم" انتهى.

قال الطبطبائي: "وقوله: ﴿إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة﴾ لخص سبحانه جميع ما كانت تبتغيه في حياتها وترومه في مسير عبوديتها في مسألة سألت ربها وذلك أن الإيمان إذا كمل تواطأ الظاهر والباطن وتوافق القلب واللسان فلا يقول الإنسان إلا ما يفعل ولا يفعل إلا ما يقول فيكون ما يرجوه أو يتمناه أو يسأله بلسانه هو الذي يريده كذلك بعمله.

وإذ حكى الله فيما يمثل به حالها ويشير إلى منزلتها الخاصة في العبودية دعاء دعت به دل ذلك على أنه عنوان جامع لعبوديتها وعلى ذلك كانت تسير مدى حياتها، والذي تتضمنه مسألتها أن يبني الله لها عنده بيتاً في الجنة وينجيها من فرعون وعمله وينجيها من القوم الظالمين فقد اختارت جوار ربه والقرب منه على أن تكون أنيسة فرعون وعشيقته وهي ملكة مصر وآثرت بيتاً يبنيه لها ربها على بيت فرعون الذي فيه مما تشتهيه الأنفس وتتمناه القلوب ما تقف دونه الآمال فقد كانت عزفت نفسها ما هي فيه من زينة الحياة الدنيا وهي

لها خاضعة وتعلقت بما عند ربه من الكرامة والزلفى فآمنت بالغيب واستقامت على إيمانها حتى قضت.

وهذه القدم هي التي قدمتها إلى أن جعلها الله مثلاً للذين آمنوا ولخص حالها وما كانت تبتغيه وتعمل له مدى حياتها في مسير العبودية في مسألة حكى عنها وما معناها إلا أنها انتزعت من كل ما يلهوها عن ربها ولاذت بربها تريد القرب منه تعالى والإقامة في دار كرامته.

فقوله: ﴿امرأة فرعون﴾ اسمها على ما في الرواية آسية، وقوله: ﴿إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة﴾ الجمع بين كون البيت المبنى لها عند الله وفي الجنة لكون الجنة دار القرب من الله وجوار رب العالمين كما قال تعالى: ﴿بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾. على أن الحضور عنده تعالى والقرب منه كرامة معنوية والاستقرار في الجنة كرامة صورية، وسؤال الجمع بينهما سؤال الجمع بين الكرامتين.

وقوله: ﴿ونجني من فرعون وعمله﴾ تبر منها وسؤال أن ينجيها الله من شخص فرعون ومن عمله الذي تدعو ضرورة المصاحبة والمعاشرة إلى الشركة فيه والتلبس به، وقيل: المراد بالعمل الجماع.

وقوله: ﴿ونجني من القوم الظالمين﴾ وهم قوم فرعون وهو تبرّ آخر وسؤال أن ينجيها الله من المجتمع العام كما أن الجملة السابقة كانت سؤال أن ينجيها من المجتمع الخاص" انتهى.

فصل في ماشطة ابنة فرعون

جاء في مسند الإمام أحمد: "حدثنا أبو عمر الضرير، أخبرنا حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لما كانت الليلة التي أسري بي فيها، أتت علي رائحة طيبة، فقلت : يا جبريل، ما هذه الرائحة الطيبة ؟ فقال : هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها ". قال : " قلت : وما شأنها ؟ قال : بينا هي تمشط ابنة فرعون ذات يوم، إذ سقطت المدرى من يديها، فقالت : باسم الله. فقالت لها ابنة فرعون : أبي ؟ قالت : لا، ولكن ربي ورب أبيك الله. قالت : أخبره بذلك ؟ قالت : نعم. فأخبرته فدعاها، فقال: يا فلانة، وإن لك ربا غيري؟ قالت : نعم، ربي وربك الله. فأمر ببقرة من نحاس فأحميت، ثم أمر بها أن تلقى هي وأولادها فيها، قالت له : إن لي إليك حاجة. قال : وما حاجتك ؟ قالت : أحب أن تجمع عظامي وعظام ولدي في ثوب واحد، وتدفنا. قال : ذلك لك علينا من الحق. قال : فأمر بأولادها فألقوا بين يديها ؛

واحدا واحدا، إلى أن انتهى ذلك إلى صبي لها مرضع، كأنها تقاعست من أجله، قال : يا أمه اقتحمي، فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة. فاقتحمت))"

وتقدم قول ابن عباس " هم ناس يسير من قوم فرعون آمنوا منهم امرأة فرعون، ومؤمن آل فرعون وخازن فرعون وامرأة خازنه وماشطته".

فصل في مؤمن آل فرعون

قال تعالى: ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب (٢٨) يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد (٢٩) وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب (٣٠) مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد (٣١) ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد (٣٢) يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد (٣٣) ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف

مرتاب (٣٤) الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾ [غافر]

قال الطبري: "اختلف أهل العلم في هذا الرجل المؤمن، فقال بعضهم: كان من قوم فرعون، غير أنه كان قد آمن بموسى، وكان يسر إيمانه من فرعون وقومه خوفا على نفسه.

ذكر من قال ذلك: حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون﴾ قال: هو ابن عم فرعون.

ويقال: هو الذي نجا مع موسى، فمن قال هذا القول، وتأول هذا التأويل، كان صوابا الوقف إذا أراد القارئ الوقف على قوله: ﴿من آل فرعون﴾ ، لأن ذلك خبر متناه قد تم.

وقال آخرون: بل كان الرجل إسرائيليا، ولكنه كان يكتم إيمانه من آل فرعون.

والصواب على هذا القول لمن أراد الوقف أن يجعل وقفه على قوله: ﴿يكتم إيمانه﴾ لأن قوله: ﴿من آل فرعون﴾ صلة لقوله: ﴿يكتم إيمانه﴾ فتمامه قوله: يكتم إيمانه، وقد ذكر أن اسم هذا الرجل المؤمن من آل فرعون: جبريل، كذلك حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق.

وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي القول الذي قاله السدي من أن الرجل المؤمن كان من آل فرعون، قد أصغى لكلامه، واستمع منه ما قاله، وتوقف عن قتل موسى عند نهيه عن قتله. وقيله ما قاله. وقال له: ما أريكم إلا ما أرى، وما أهديكم إلا سبيل الرشاد، ولو كان إسرائليا لكان حريا أن يعاجل هذا القاتل له، ولملئه ما قال بالعقوبة على قوله، لأنه لم يكن يستنصح بني إسرائيل، لاعتداده إياهم أعداء له، فكيف بقوله عن قتل موسى لو وجد إليه سبيلا؟ ولكنه لما كان من ملأ قومه، استمع قوله، وكف عما كان هم به في موسى" انتهى

قال السمرقندي: " وقال رجل مؤمن من آل فرعون وهو حزبيل بن ميخائيل، هو ابن عم قارون، وكان أبوه من آل فرعون، وأمه من بني إسرائيل. ويقال: كان ابن فرعون يكتم إيمانه، وكان قد أسلم سرا من فرعون" انتهى.

قال الثعلبي: " اختلفوا في هذا المؤمن. فقال بعضهم: كان من آل فرعون، غير أنه كان آمن بموسى، وكان يكتم إيمانه من فرعون وقومه خوفا على نفسه. قال السدي ومقاتل: كان ابن عم فرعون وهو الذي أخبر الله تعالى عنه فقال: وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى. وقال آخرون: كان إسرائيليا، ومجاز الآية: وقال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعون.

واختلفوا أيضا في اسمه. فقال ابن عباس وأكثر العلماء: اسمه حزبيل. وهب بن منبه: اسمه حزيقال. ابن إسحاق: خبرل. أخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا محمد بن خالد أخبرنا داود بن سليمان أخبرنا عبد الواحد أخبرنا أحمد بن يونس حدثنا خديج بن معاوية عن أبي إسحاق قال: كان اسم الرجل الذي آمن من آل فرعون (حبيب)" انتهى,

قال الماوردي: " قوله عز وجل: ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه كان ابن عم فرعون، قاله السدي، قال وهو الذي نجا مع موسى. الثاني: أنه كان قبطيا من جنسه ولم يكن من أهله، قاله مقاتل. قال ابن إسحاق: وكان اسمه حبيبا. وحكى الكلبي أن اسمه حزبيل، وكان ملكا على نصف الناس وله الملك بعد فرعون، بمنزلة ولي العهد. وقال ابن عباس: لم يكن من آل فرعون مؤمن غيره وامرأة فرعون وغير المؤمن الذي أنذر فقال ﴿إن الملأ يأتمرون بك﴾" انتهى.

قال ابن عطية: "واختلف الناس في هذا الرجل، فقال السدي وغيره: كان من آل فرعون، وكان يكتم إيمانه، فـ"يكتم" - على هذا - في موضع الصفة دون تقديم وتأخير، وقال مقاتل: كان ابن عم فرعون، وقالت فرقة: لم يكن من أهل فرعون بل من بني إسرائيل، وإنما المعنى: وقال رجل يكتم إيمانه من آل فرعون، ففي الكلام تقديم وتأخير. والأول أصح،

ولم يكن لأحد من بني إسرائيل أن يتكلم بمثل هذا عند فرعون، ويحتمل أن يكون من غير القبط ويقال فيه: من آل فرعون إذ كان في الظاهر على دين فرعون ومن أتباعه" انتهى.

قال الفخر الرازي: " اعلم أن مؤمن آل فرعون لما أقام أنواع الدلائل على أنه لا يجوز الإقدام على قتل موسى، خوفهم في ذلك بعذاب الله فقال: ﴿ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض﴾ يعني قد علوتم الناس وقهرتموهم، فلا تفسدوا أمركم على أنفسكم ولا تتعرضوا لبأس الله وعذابه، فإنه لا قبل لكم به، وإنما قال: ﴿ينصرنا﴾ و﴿جاءنا﴾ لأنه كان يظهر من نفسه أنه منهم وأن الذي ينصحهم به هو مشارك لهم فيه، ولما قال ذلك المؤمن هذا الكلام ﴿قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى﴾ أي لا أشير إليكم برأي سوى ما ذكرته أنه يجب قتله حسما لمادة الفتنة ﴿وما أهديكم﴾ بهذا الرأي ﴿إلا سبيل الرشاد﴾ والصلاح، ثم حكى تعالى أن ذلك المؤمن رد هذا الكلام على فرعون فقال: ﴿إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب﴾.

واعلم أنه تعالى حكى عن ذلك المؤمن أنه كان يكتم إيمانه، والذي يكتم كيف يمكنه أن يذكر هذه الكلمات مع فرعون، ولهذا السبب حصل هاهنا قولان؛ الأول: أن فرعون لما قال: ﴿ذروني أقتل موسى﴾ لم يصرح ذلك المؤمن بأنه على دين موسى، بل أوهم أنه مع فرعون وعلى دينه، إلا أنه زعم أن المصلحة تقتضي ترك قتل موسى؛ لأنه لم يصدر عنه

إلا الدعوة إلى الله والإتيان بالمعجزات القاهرة، وهذا لا يوجب القتل، والإقدام على قتله يوجب الوقوع في ألسنة الناس بأقبح الكلمات، بل الأولى أن يؤخر قتله وأن يمنع من إظهار دينه؛ لأن على هذا التقدير إن كان كاذبا كان وبال كذبه عائدا إليه، وإن كان صادقا حصل الانتفاع به من بعض الوجوه، ثم أكد ذلك بقوله: ﴿إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب﴾ يعني أنه إن صدق فيما يدعيه من إثبات الإله القادر الحكيم فهو لا يهدي المسرف الكذاب، فأوهم فرعون أنه أراد بقوله: ﴿إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب﴾ أنه يريد موسى وهو إنما كان يقصد به فرعون؛ لأن المسرف الكذاب هو فرعون. والقول الثاني: أن مؤمن آل فرعون كان يكتم إيمانه أولا، فلما قال فرعون: ﴿ذروني أقتل موسى﴾ أزال الكتمان وأظهر كونه على دين موسى، وشافه فرعون بالحق" انتهى.

فائدة في مبدأ إيمان مؤمن آل فرعون

قال الماوردي في تفسير قوله تعالى: ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه﴾: "وحكي أنه لما فرغ النجار من صنعه التابوت أتى إلى فرعون يخبره فبعث معه من يأخذه فطمس الله على عينه وقلبه فلم يعرف الطريق فأيقن أنه المولود الذي تخوف فرعون منه فآمن من ذلك الوقت وهو مؤمن آل فرعون" انتهى، وأصله من تفسير الثعلبي.

فصل في السحرة

قال تعالى: ﴿ ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين (١٠٣) وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين (١٠٤) حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل (١٠٥) قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين (١٠٦) فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين (١٠٧) ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين (١٠٨) قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم (١٠٩) يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون (١١٠) قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين (١١١) يأتوك بكل ساحر عليم (١١٢) وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين (١١٣) قال نعم وإنكم لمن المقربين (١١٤) قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين (١١٥) قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم (١١٦) وأوحينا إلى

موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون (١١٧) فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون (١١٨) فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين (١١٩) وألقي السحرة ساجدين (١٢٠) قالوا آمنا برب العالمين (١٢١) رب موسى وهارون (١٢٢) قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون (١٢٣) لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين (١٢٤) قالوا إنا إلى ربنا منقلبون (١٢٥) وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين﴾ [الأعراف]

وقال تعالى: ﴿ ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون إلى فرعون وملئه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين (٧٥) فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحر مبين (٧٦) قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون (٧٧) قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين (٧٨) وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم (٧٩) فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون (٨٠) فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين (٨١) ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون﴾ [يونس]

وقال تعالى: ﴿ قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى (٥٧) فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى (٥٨) قال موعدكم

يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى (٥٩) فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى (٦٠) قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى (٦١) فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى (٦٢) قالوا إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى (٦٣) فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد أفلح اليوم من استعلى (٦٤) قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى (٦٥) قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى (٦٦) فأوجس في نفسه خيفة موسى (٦٧) قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى (٦٨) وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى (٦٩) فألقي السحرة سجدا قالوا آمنا برب هارون وموسى (٧٠) قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى (٧١) قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا (٧٢) إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى (٧٣) إنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى (٧٤) ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى (٧٥) جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى﴾ [طه]

قال تعالى: ﴿ قال للملإ حوله إن هذا لساحر عليم (٣٤) يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون (٣٥) قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين (٣٦) يأتوك بكل سحار عليم (٣٧) فجمع السحرة لميقات يوم معلوم (٣٨) وقيل للناس هل أنتم مجتمعون (٣٩) لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين (٤٠) فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين (٤١) قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين (٤٢) قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون (٤٣) فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون (٤٤) فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون (٤٥) فألقي السحرة ساجدين (٤٦) قالوا آمنا برب العالمين (٤٧) رب موسى وهارون (٤٨) قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين (٤٩) قالوا لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون (٥٠) إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين﴾ [الشعراء]

قال الطبري: "حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق: "أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين* يأتوك بكل ساحر عليم"، أي كاثره بالسحرة، لعلك أن تجد في السحرة من يأتي بمثل ما جاء به. وقد كان موسى وهارون خرجا من عنده حين أراهم من سلطان الله ما أراهم. وبعث فرعون في مملكته، فلم يترك في سلطانه ساحرًا إلا أتي به.

فذكر لي، والله أعلم، أنه جمع له خمسة عشر ألف ساحر، فلما اجتمعوا إليه، أمرهم أمره، وقال لهم: قد جاءنا ساحرٌ ما رأينا مثله قط، وإنكم إن غلبتموه أكرمتكم وفضلتكم، وقرَّبتكم على أهل مملكتي! قالوا: وإن لنا ذلك إن غلبناه؟ قال: نعم!

حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال، حدثنا الحسين، عن يزيد، عن عكرمة قال: السحرة كانوا سبعين قال أبو جعفر: أحسبه أنه قال: ألفًا.

قال: حدثنا يحيى بن واضح قال، حدثنا موسى بن عبيدة، عن ابن المنذر، قال: كان السحرة ثمانين ألفا.

حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير، عن عبد العزيز بن رفيع، عن خيثمة، عن أبي سودة، عن كعب قال: كان سحرة فرعون اثني عشر ألفًا" انتهى.

قال السمرقندي: "قال الكلبي: كانت السحرة سبعين فألقوا سبعين عصا وسبعين حبلا. وقال بعضهم: كانوا اثنين وسبعين حبلا. وروى أسباط عن السدي قال: قال ابن عباس كانوا بضعا وثلاثين ألفا. وقال محمد بن إسحاق: كانوا ألف رجل وخمسمائة رجل ومع كل واحد منهم عصا" انتهى.

قال الثعلبي: "قال ابن عباس وابن إسحاق والسدي: قال فرعون لما رأى من سلطان الله في العصا ما رأى: إنا لا نغالب موسى إلا بمن هو مثله فأخذ غلمان بني إسرائيل فبعث بهم إلى قرية يقال لها الفرقاء يعلمونهم السحر كما يعلم الصبيان الكتابة في المكتب فعلموهم سحرا كثيرا وواعد فرعون موسى موعدا، فبعث فرعون إلى السحرة فجاء بهم ومعهم معلمهم فقال له ماذا صنعت؟

قال: قد علمتهم سحر لا يطيقه سحرة أهل الأرض إلا أن يكون أمر من السماء فإنه لا طاقة لهم به، ثم بعث فرعون الشرطي في مملكته فلم يترك في سلطانه ساحرا إلا أتى به واختلفوا في عدد السحرة الذين جمعهم فرعون.

فقال مقاتل: كان السحرة اثنين وسبعين ساحرا اثنان فيهم من القبط وهما رئيسا القوم وسبعون من بني إسرائيل.

وقال الكلبي: كانوا سبعين ساحرا غير رئيسهم وكان الذين يعلمونهم السحر رجلين مجوسيين من أهل نينوى، وقال كعب: كانوا اثني عشر ألفا. قال السدي: كانوا بضعة وثلاثين.

عكرمة: سبعين ألفا، ابن المنكدر: ثمانين ألفا فاختار منهم سبعة آلاف ليس منهم إلا ساحر ماهر ثم اختار منهم سبعمائة ثم اختيار منهم سبعين من كبرائهم وعلمائهم، وقاله ابن جريج" انتهى.

قال الزمخشري: "واختلفت الروايات فمن مقل ومن مكثر" انتهى.

قال الفخر الرازي: "هذه الآية تدل على أن السحرة كانوا كثيرين في ذلك الزمان، وإلا لم يصح قوله: ﴿وأرسل في المدائن حاشرين﴾ ﴿يأتوك بكل ساحر عليم﴾" انتهى.

قال أبو حيان: "واضطرب الناقلون للأخبار في عددهم اضطرابا متناقضا يعجب العاقل من تسطيره في الكتب، فمن قائل تسعمائة ألف ساحر وقائل سبعين ساحرا فما بينهما من الأعداد المعينة المتناقضة" انتهى.

فصل في إيمان السحرة

قال تعالى: ﴿فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون (١١٨) فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين (١١٩) وألقي السحرة ساجدين (١٢٠) قالوا آمنا برب العالمين (١٢١) رب موسى وهارون (١٢٢) قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون (١٢٣) لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم

أجمعين (١٢٤) قالوا إنا إلى ربنا منقلبون (١٢٥) وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين﴾ [الأعراف]

وقال تعالى: ﴿وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى (٦٩) فألقي السحرة سجدا قالوا آمنا برب هارون وموسى (٧٠) قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى (٧١) قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا (٧٢) إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى (٧٣) إنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى (٧٤) ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى (٧٥) جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى﴾ [طه]

قال تعالى: ﴿فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون (٤٥) فألقي السحرة ساجدين (٤٦) قالوا آمنا برب العالمين (٤٧) رب موسى وهارون (٤٨) قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف

ولأصلبنكم أجمعين (٤٩) قالوا لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون (٥٠) إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين﴾ [الشعراء]

قال السمرقندي: "إنا نطمع يعني: نرجو أن يغفر لنا ربنا خطايانا يعني: شركنا وسحرنا أن كنا أول المؤمنين يعني: أول المصدقين من قوم فرعون. وذكر عن الفراء أنه قال: كانوا أول مؤمني أهل دهرهم. وقال الزجاج: لا أحسبه عرف الرواية، لأن الذين كانوا مع موسى روي في التفسير أنهم ستمائة ألف وسبعين ألفا، ولكن معناه: أول من آمن في هذه الساعة" انتهى.

فائدة في معنى إكراه السحرة على السحر

قال تعالى: ﴿إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى﴾ [طه]

قال السمعاني: "وقوله: ﴿وما أكرهتنا عليه من السحر﴾ فإن قيل: كيف يستقيم هذا وقد جاءوا مختارين، وحلفوا بعزة فرعون أن لهم الغلبة على ما ذكر في موضع آخر؟ والجواب عنه: أنه روي عن الحسن البصري أنه قال: كان فرعون يجبر قوما على تعلم السحر؛ لكيلا يذهب أصله، وكان قد أكرههم في الابتداء على تعلمه، فأرادوا بذلك" انتهى.

قال الثعلبي: "وما أكرهتنا عليه من السحر قال مقاتل: كانت السحرة اثنين وسبعين ساحرا، اثنان منهم من القبط وهما رأسا القوم، وسبعون منهم من بني إسرائيل، وكان فرعون أكره أولئك السبعين الذين هم من بني إسرائيل على تعلم السحر.

وقال عبد العزيز بن أبان: إن السحرة قالوا لفرعون: أرنا موسى إذا نام، فأراهم موسى نائما وعصاه تحرسه فقالوا لفرعون: ان هذا ليس بسحر، إن الساحر إذا نام بطل سحره، فأبى عليهم إلا أن تعملوا فذلك قوله وما أكرهتنا عليه من السحر" انتهى.

قال ابن الجوزي: "فإن قيل: كيف قالوا: أكرهتنا، وقد قالوا: أإن لنا لأجرا، وفي هذا دليل على أنهم فعلوا السحر غير مكرهين ؟ فعنه أربعة أجوبة:

أحدها: أن فرعون كان يكره الناس على تعلم السحر، قاله ابن عباس. قال ابن الأنباري: كان يطالب بعض أهل مملكته بأن يعلموا أولادهم السحر وهم لذلك كارهون، وذلك لشغفه بالسحر، ولما خامر قلبه من خوف موسى، فالإكراه على السحر هو الإكراه على تعلمه في أول الأمر.

والثاني: أن السحرة لما شاهدوا موسى بعد قولهم: أئن لنا لأجرا، ورأوا ذكره الله تعالى وسلوكه منهاج المتقين، جزعوا من ملاقاته بالسحر، وحذروا أن يظهر عليهم فيطلع على

ضعف صناعتهم، فتفسد معيشتهم، فلم يقنع فرعون منهم إلا بمعارضة موسى، فكان هذا هو الإكراه على السحر.

والثالث: أنهم خافوا أن يغلبوا في ذلك الجمع، فيقدح ذلك في صنعتهم عند الملوك والسوق، وأكرههم فرعون على فعل السحر.

والرابع: أن فرعون أكرههم على مفارقة أوطانهم، وكان سبب ذلك السحر، ذكر هذه الأقوال ابن الأنباري" انتهى.

فصل في تهديد السحرة

قال تعالى: ﴿قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون (١٢٣) لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين﴾ [الأعراف]

قال تعالى: ﴿قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى﴾ [طه]

قال تعالى: ﴿قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين﴾ [الشعراء]

قال الطبري: "وقوله: ﴿فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف﴾

يقول: فلأقطعن أيديكم وأرجلكم مخالفا بين قطع ذلك، وذلك أن يقطع يمنى اليدين ويسرى الرجلين، أو يسرى اليدين، ويمنى الرجلين، فيكون ذلك قطعا من خلاف، وكان فيما ذكر أول من فعل ذلك فرعون، وقد ذكرنا الرواية بذلك"

وقال بعد قليل: "عن السدي، قال فرعون: ﴿فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾ فقتلهم وقطعهم، كما قال عبد الله بن عباس حين قالوا ﴿ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين﴾ وقال: كانوا في أول النهار سحرة، وفي آخر النهار شهداء" انتهى.

قال السمرقندي: "ولأصلبنكم في جذوع النخل، يعني: على أصول النخل على شاطئ النيل" انتهى.

قال السمعاني: " وذكر الكلبي: أن فرعون قطع أيديهم وأرجلهم وصلبهم، وذكر غيره: أنه لم يقدر عليهم، واستدل بقوله تعالى: ﴿لا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون﴾" انتهى.

قال ابن عطية: " فلما رأى فرعون والملأ إيمان السحرة، وقامت الحجة بإيمان أهل علمهم ومظنة نصرتهم، وقع فرعون لعنه الله- في الورطة العظمى، فرجع إلى السحرة بهذه الحجة الأخرى، فوقفهم موبخا لهم على إيمانهم بموسى قبل إذنه، وفي هذه اللفظة مقاربة عظيمة؛ لأن أحد احتمالاتها أنهم لو طلبوا إذنه في ذلك أذن. ثم توعدهم بقطع الأيدي والأرجل من خلاف، وبالصلب في جذوع النخل، فقالوا له: "لا ضير" أي: لا يضيرنا ذلك مع

انقلابنا إلى مغفرة الله تعالى ورضوانه، وروي أنه أنفذ فيهم ذلك الوعيد وصلبهم على النيل، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء" انتهى.

قال ابن كثير: "ثم أخذ يتهددهم فقال: ﴿فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾ أي: لأجعلنكم مثلة ولأقتلنكم ولأشهرنكم. قال ابن عباس: فكان أول من فعل ذلك. رواه ابن أبي حاتم" انتهى.

قال الثعالبي: "وروي في قصص هذه الآية: أن فرعون (لعنه الله) جلس في علية له طولها ثمانون ذراعا، والناس تحته في بسيط، وجاء سبعون ألف ساحر، فألقوا من حبالهم وعصيهم ما فيه وقر ثلاث مائة بعير، فهال الأمر، ثم إن موسى عليه السلام ألقى عصاه من يده، فاستحالت ثعبانا، وجعلت تنمو حتى روي أنها عبرت النهر بذنبها، وقيل: البحر، وفرعون في هذا كله يضحك ويرى أن الاستواء حاصل، ثم أقبلت تأكل الحبال والعصي حتى أفنتها، ثم فغرت فاها نحو فرعون ففزع عند ذلك واستغاث بموسى، فمد موسى يده إليها، فرجعت عصا كما كانت، فنظر السحرة، وعلموا الحق، ورأوا عدم الحبال والعصي فأيقنوا أن الأمر من الله عز وجل فآمنوا رضي الله عنهم" انتهى.

فصل رجل من أقصى المدينة

قال تعالى: ﴿وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين﴾ [القصص]

قال الطبري: "ذكر أن قول الإسرائيلي سمعه سامع فأفشاه، وأعلم به أهل القتيل، فحينئذ طلب فرعون موسى، وأمر بقتله؛ فلما أمر بقتله، جاء موسى مخبر وخبره بما قد أمر به فرعون في أمره، وأشار عليه بالخروج من مصر، بلد فرعون وقومه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك: حدثني العباس، قال: أخبرنا يزيد، قال: أخبرنا الأصبغ بن زيد، قال: ثنا القاسم بن أبي أيوب، قال: ثني سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: انطلق الفرعوني الذي كان يقاتل الإسرائيلي إلى قومه، فأخبرهم بما سمع من الإسرائيلي من الخبر حين يقول ﴿أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس﴾ فأرسل فرعون الذباحين لقتل موسى، فأخذوا الطريق الأعظم، وهم لا يخافون أن يفوتهم، وكان رجل من شيعة موسى في أقصى المدينة، فاختصر طريقا قريبا، حتى سبقهم إلى موسى، فأخبره الخبر.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: أعلمهم القبطي الذي هو عدو لهما، فأتمر الملأ ليقتلوه، فجاء رجل من أقصى المدينة، وقرأ ﴿إن ... ﴾ إلى آخر الآية، قال: كنا نحدث أنه مؤمن آل فرعون.

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: ذهب القبطي، يعني الذي كان يقاتل الإسرائيلي، فأفشى عليه أن موسى هو الذي قتل الرجل، فطلبه فرعون وقال: خذوه فإنه صاحبنا، وقال للذين يطلبونه: اطلبوه في بنيات الطريق، فإن موسى غلام لا يهتدي الطريق، وأخذ موسى في بنيات الطريق، وقد جاءه الرجل فأخبره ﴿إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك﴾" انتهى.

وقال بعد قليل: "وقوله: ﴿وجاء رجل﴾ ذكر أنه مؤمن آل فرعون، وكان اسمه فيما قيل: سمعان. وقال بعضهم: بل كان اسمه شمعون" انتهى.

قال السمرقندي: "فجاءه خزبيل وهو مؤمن من آل فرعون، وأخبر موسى بذلك، وهو قوله: وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى يعني: من وسط المدينة يمشي على رجليه، ويقال: يسرع ويشتد في مشيته" انتهى.

قال السمعاني: "قوله تعالى: ﴿وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى﴾ يقال: كان اسمه شمعون، ويقال: شمعان، وقيل: هو (حزقيل) مؤمن من آل فرعون.

وقوله: ﴿قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك﴾ أي: يتشاورون في قتلك، وقيل: يأمر بعضهم بعضا بقتلك، وقيل: إن فرعون قال: أين وجدتموه فاقتلوه.

وقوله: ﴿فاخرج إني لك من الناصحين﴾ أي: من الناصحين لك في الأمر بالخروج، والنصح للإنسان هو الإشارة عليه بما يصلح أمره" انتهى.

قال الماوردي: "قوله: ﴿وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى﴾ قال الضحاك: هو مؤمن آل فرعون. وقال شعيب: اسمه شمعون. وقال محمد بن إسحاق: شمعان. وقال الضحاك والكلبي: اسمه حزقيل بن شمعون. قال الكلبي: هو ابن عم فرعون أخي أبيه" انتهى.

قال ابن عطية: "وروى ابن جريج أن اسم الرجل الساعي من أقصى المدينة شمعون، وقال ابن إسحاق: سمعان. قال القاضي أبو محمد رحمه الله: والثبت في هذا ونحوه بعيد" انتهى.

قال ابن كثير: "قال تعالى: ﴿وجاء رجل﴾ وصفه بالرجولية لأنه خالف الطريق، فسلك طريقا أقرب من طريق الذين بعثوا وراءه، فسبق إلى موسى، فقال له: يا موسى ﴿إن الملأ يأتمرون بك﴾ أي: يتشاورون فيك ﴿ليقتلوك فاخرج﴾ أي: من البلد ﴿إني لك من الناصحين﴾" انتهى.

قال البقاعي: "قال واصفا للرجل: ﴿من أقصى المدينة﴾ أي: أبعدها مكانا، وبين أنه كان ماشيا بقوله: ﴿يسعى﴾ ولكنه اختصر طريقا وأسرع في مشيه بحيث كان يعدو فسبقهم بإعظامه للسعي وتجديد العزم في كل وقت من أوقات سعيه فكأنه قيل: ما فعل؟ فقيل: ﴿قال﴾ مناديا له باسمه تعطفا وإزالة للبس: ﴿يا موسى﴾ وأكد إشارة إلى أن الأمر قد دهم فلا يسع الوقت الاستفصال فقال: ﴿إن الملأ﴾ أي: أشراف القبط الذين في أيديهم الحل والعقد، لأن لهم القدرة على الأمر والنهي ﴿يأتمرون بك﴾ أي: يتشاورون بسببك، حتى وصل حالهم في تشاورهم إلى أن كلا منهم يأمر الآخر ويأتمر بأمره، فكأنه قيل: لم يفعلون ذلك؟ فقيل: ﴿ليقتلوك﴾ لأنهم سمعوا أنك قتلت صاحبهم ﴿فاخرج﴾ أي: من هذه المدينة؛ ثم علل ذلك بقوله على سبيل التأكيد ليزيل ما يطرق من احتمال عدم القتل لكونه عزيزا عند الملك: ﴿إني لك﴾ أي: خاصة ﴿من الناصحين﴾ أي: العريقين في نصحك" انتهى.

قال الطاهر ابن عاشور: "ظاهر النظم أن الرجل جاء على حين محاورة القبطي مع موسى، فلذلك انطوى أمر محاورتهما إذ حدث في خلاله ما هو أهم منه وأجدى في القصة.

والظاهر أن أقصى المدينة هو ناحية قصور فرعون وقومه، فإن عادة الملوك السكنى في أطراف المدن توقيا من الثورات والغارات؛ لتكون مساكنهم أسعد بخروجهم عند الخوف. وقد قيل: الأطراف منازل الأشراف. وأما قول أبي تمام:

كانت هي الوسط المحمي فاتصلت بها الحوادث حتى أصبحت طرفا

فذلك معنى آخر راجع إلى انتقاص العمران كقوله تعالى ﴿يقولون إن بيوتنا عورة﴾.

وبهذا يظهر وجه ذكر المكان الذي جاء منه الرجل، وأن الرجل كان يعرف موسى.

والملأ: الجماعة أولو الشأن، وتقدم عند قوله تعالى "قال الملأ من قومه" أي نوح في الأعراف، وأراد بهم أهل دولة فرعون: فالمعنى: أن أولي الأمر يأتمرون بك، أي يتشاورون في قتلك. وهذا يقتضي أن القضية رفعت إلى فرعون وفي سفر الخروج في الإصحاح الثاني: (فسمع فرعون هذا الأمر فطلب أن يقتل موسى). ولما علم هذا الرجل بذلك أسرع بالخبر لموسى؛ لأنه كان معجبا بموسى واستقامته. وقد قيل كان هذا الرجل من بني إسرائيل. وقيل: كان من القبط ولكنه كان مؤمنا يكتم إيمانه، لعل الله ألهمه معرفة فساد الشرك بسلامة فطرته وهيأه لإنقاذ موسى من يد فرعون" انتهى.

فصل في حال سائر المؤمنين بعد إيمان السحرة

قال تعالى: ﴿وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون﴾

قال الفخر الرازي: "اعلم أن بعد وقوع هذه الواقعة لم يتعرض فرعون لموسى ولا أخذه ولا حبسه، بل خلى سبيله، فقال قومه: ﴿أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض﴾.

واعلم أن فرعون كان كلما رأى موسى خافه أشد الخوف؛ فلهذا السبب لم يتعرض له إلا أن قومه لم يعرفوا ذلك، فحملوه على أخذه وحبسه. وقوله: ﴿ليفسدوا في الأرض﴾ أي يفسدوا على الناس دينهم الذي كانوا عليه، وإذا أفسدوا عليهم أديانهم توسلوا بذلك إلى أخذ الملك" انتهى.

قال أبو حيان: "﴿وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك﴾. قال ابن عباس: لما آمنت السحرة اتبع موسى ستمائة ألف من بني إسرائيل، قال مقاتل: ومكث موسى بمصر بعد إيمان السحرة عاما، أو نحوه يريهم الآيات، وتضمن قول الملأ إغراء فرعون بموسى وقومه وتحريضه على قتلهم وتعذيبهم حتى لا يكون لهم خروج عن دين فرعون، ويعني بقومه من اتبعه من بني إسرائيل فيكون الاستفهام على

هذا استفهام إنكار وتعجب، وقيل: هو استخبار، والغرض به أن يعلموا ما في قلب فرعون من موسى ومن آمن به، قال مقاتل: والإفساد هو خوف أن يقتلوا أبناء القبط ويستحيوا نساءهم على سبيل المقاصة منهم، كما فعلوا هم ببني إسرائيل، وقيل: الإفساد دعاؤهم الناس إلى مخالفة فرعون وترك عبادته" انتهى.

قال البقاعي: "أخبر تعالى بما قال قوم فرعون بعد ما رأوا من المعجز القاهر دليلا على ذلك، فقال عاطفا على ﴿وألقي السحرة ساجدين﴾ وما بعده، أو على قول فرعون: ﴿وقال الملأ﴾ أي: الأشراف ﴿من قوم فرعون﴾ أي: ظانين أن فرعون متمكن مما يريد بموسى عليه السلام من الأذى منكرين لما وصل إليه الحال من أمر موسى عليه السلام حين فعل ما فعل وآمن به السحرة، وما عمل فرعون شيئا، لا قتله ولا حبسه؛ لأنه كان لا يقدر على ذلك ولا يعترف به لقومه ﴿أتذر موسى وقومه﴾" انتهى.

قال أبو السعود: "﴿وقال الملأ من قوم فرعون﴾ مخاطبين له بعد ما شاهدوا من أمر موسى عليه السلام. ﴿أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض﴾؛ أي: في أرض مصر بتغير الناس عليك وصرفهم عن متابعتك" انتهى.

فصل الأمر الثاني بقتل أبناء المؤمنين واستحياء نسائهم

قال تعالى: ﴿وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون (١٢٧) قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين (١٢٨) قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون﴾ [الأعراف]

قال تعالى: ﴿فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين إلا في ضلال﴾ [غافر]

قال الطبري: " فإن قال قائل: وكيف قيل ﴿فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم﴾، وإنما كان قتل فرعون الولدان من بني إسرائيل حذار المولود الذي كان أخبر أنه على رأسه ذهاب ملكه، وهلاك قومه، وذلك كان فيما يقال قبل أن يبعث الله موسى نبيا؟ قيل: إن هذا الأمر بقتل أبناء الذين آمنوا مع موسى، واستحياء نسائهم، كان أمرا من فرعون وملئه من بعد الأمر الأول الذي كان من فرعون قبل مولد موسى" انتهى.

قال الماتريدي: "ثم قال اللعين: ﴿سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم﴾. قال بعضهم: قوله: ﴿سنقتل أبناءهم﴾ يعني: رجالهم، ﴿ونستحيي نساءهم﴾؛ لأنه لا يحتمل قتل الأبناء، ولم يكن منهم إليه صنع إنما كان ذلك من الرجال.

وقال بعضهم: قد كان فرعون يقتل أبناء بني إسرائيل في العام الذي قيل له: إنه يولد مولود يذهب بملكك، ويغير دين أهل الأرض، فلم يزل يقتلهم في ذلك العام الذي قيل له: إنه يولد مولود يذهب بملكه ويترك البنات، فذلك قوله: ﴿سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم﴾، والله أعلم. وقوله - عز وجل -: ﴿وإنا فوقهم قاهرون﴾ قيل: مسلطون عليهم" انتهى.

قال السمرقندي: "قوله تعالى وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض يعني: إن السحرة قد آمنوا به فلو تركتهما يؤمن بهما جميع أهل مصر، فيفسدوا في الأرض يعني: موسى وقومه ويغيروا عليك دينك في أرض مصر ويذرك وآلهتك وذلك أن فرعون كان قد جعل لقومه أصناما يعبدونها، وكان يقول لهم هؤلاء أربابكم الصغار، وأنا ربكم الأعلى. فذلك قوله تعالى: ويذرك وآلهتك يعني: يدعك ويدع أصنامك التي أمرت بعبادتها. وروي عن عمرو بن دينار عن ابن عباس أنه كان يقرأ ويذرك وآلهتك يعني: عبادتك وتعبدك. قال ابن عباس: كان فرعون يعبد ولا يعبد. ويقال: معنى قوله: أتذر

موسى وقومه ليفسدوا في الأرض يعني: يغلبوا عليكم، ويقتلون أبناءكم، ويستحيون نساءكم كما فعلتم بهم كما قال في آية أخرى إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد فقال لهم فرعون: سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم لأنهم قد كانوا تركوا قتل الأبناء، فأمرهم أن يرجعوا إلى ذلك الفعل" انتهى.

وقال بعد قليل: "قال يعني فرعون سنقتل أبناءهم بالتشديد على التكثير. وقرأ أهل الحجاز بالتخفيف ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون غالبون.

قال ابن عباس: كان فرعون يقتل بني إسرائيل في العام الذي قيل له إنه يولد مولد يذهب بملكك فلم يزل يقتلهم حتى أتاهم موسى (عليه السلام) بالرسالة فلما كان من أمر موسى ما كان أمر بإعادة عليهم القتل فشكت بنو إسرائيل إلى موسى (عليه السلام) فعند ذلك قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يعني أرض مصر يورثها يعطيها من يشاء من عباده وقرأ الحسن يورثها بالتشديد والاختيار التخفيف لقوله تعالى وأورثنا الأرض ... والعاقبة للمتقين يعني النصر والظفر، وقيل: السعادة والشهادة، وقيل: الجنة.

وروى عكرمة عن ابن عباس قال: لما آمنت السحرة اتبع موسى ست مائة ألف من بني إسرائيل قالوا يعني قوم موسى أوذينا بقتل الأبناء واستخدام النساء والتسخير. من قبل

أن تأتينا بالرسالة ومن بعد ما جئتنا بالرسالة وإعادة القتل والتعذيب وأخذ الأموال والأتعاب في العمل.

قال وهب: كانوا أصنافا في أعمال فرعون فأما ذوو القوة منهم فيسلخون السوابي من الجبال وقد [...][1] أعناقهم وعواتقهم وأيديهم ودبرت ظهورهم من قطع ذلك وقتله.

وطائفة أخرى قد قرحوا من ثقل الحجارة وسير الليل له، وطائفة يلبنون اللبن ويطنبون الأجر، وطائفة نجارون وحدادون، والضعفاء بينهم عليهم الخراج ضريبة يودون كانت ضربت عليه الشمس، قيل: وإن يردى ضريبته غلت يده إلى عنقه شهرا، وأما النساء فيقرن اختان وينسجنه فقال موسى (عليه السلام) لهم عسى ربكم أن يهلك عدوكم فرعون ويستخلفكم في الأرض ويسكنكم مصر من بعدهم بالتسخير والاستعباد وهم بنو إسرائيل" انتهى.

قال الماوردي: " ﴿قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم﴾ وإنما عدل عن قتل موسى إلى قتل الأبناء لأنه علم أنه لا يقدر على قتل موسى إما لقوته وإما تصوره أنه مصروف عن قتله، فعدل إلى قتل الأبناء ليستأصل قوم موسى من بني إسرائيل فيضعف عن فرعون

[1] هكذا في النسخة المطبوعة

﴿ونستحيي نساءهم﴾ فيه قولان: أحدهما: أن نفتش أرحامهن فننظر ما فيهن من الولد، مأخوذ من الحياء وهو اسم من أسماء الفرج، حكاه ابن بحر.

والثاني: الأظهر أن معناه: نستبقيهن أحياء لضعفهن عن المنازعة وعجزهن عن المحاربة" انتهى.

قال الزمخشري: "سنقتل أبناءهم يعنى سنعيد عليهم ما كنا محناهم به من قتل الأبناء، ليعلموا أنا على ما كنا عليه من الغلبة والقهر، وأنهم مقهورون تحت أيدينا كما كانوا، وأن غلبة موسى لا أثر لها في ملكنا واستيلائنا، ولئلا يتوهم العامة أنه هو المولود الذي أخبر المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده، فيثبطهم ذلك عن طاعتنا ويدعوهم إلى اتباعه، وأنه منتظر بعد" انتهى.

قال الفخر الرازي: " المسألة الثانية: أن موسى عليه السلام إنما يمكنه الإفساد بواسطة الرهط والشيعة، فنحن نسعى في تقليل رهطه وشيعته، وذلك بأن نقتل أبناء بني إسرائيل ونستحيي نساءهم. ثم بين أنه قادر على ذلك بقوله: ﴿وإنا فوقهم قاهرون﴾ والمقصود منه ترك موسى وقومه، لا من عجز وخوف، ولو أراد به البطش لقدر عليه، كأنه يوهم قومه أنه إنما لم يحبسه ولم يمنعه لعدم التفاته إليه ولعدم خوفه منه. واختلف المفسرون، فمنهم من قال: كان يفعل ذلك كما فعله ابتداء عند ولادة موسى، ومنهم من

قال: بل منع منه، واتفق المفسرون على أن هذا التهديد وقع في غير الزمان الأول. ثم حكى تعالى عن موسى عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿استعينوا بالله واصبروا﴾ وهذا يدل على أن الذي قاله الملأ لفرعون والذي قال فرعون لهم قد عرفه موسى عليه السلام ووصل إليه، فعند ذلك قال لقومه: ﴿استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾ فههنا أمرهم بشيئين وبشرهم بشيئين: أما اللذان أمر موسى عليه السلام بهما: فالأول: الاستعانة بالله تعالى. والثاني: الصبر على بلاء الله.

وإنما أمرهم أولا بالاستعانة بالله، وذلك لأن من عرف أنه لا مدبر في العالم إلا الله تعالى انشرح صدره بنور معرفة الله تعالى وحينئذ يسهل عليه أنواع البلاء؛ ولأنه يرى عند نزول البلاء أنه إنما حصل بقضاء الله تعالى وتقديره، واستعداده بمشاهدة قضاء الله خفف عليه أنواع البلاء.

وأما اللذان بشر بهما: فالأول: قوله: ﴿إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده﴾ وهذا إطماع من موسى عليه السلام قومه في أن يورثهم الله تعالى أرض فرعون بعد إهلاكه، وذلك معنى الإرث، وهو جعل الشيء للخلف بعد السلف. والثاني: قوله: ﴿والعاقبة للمتقين﴾ فقيل: المراد أمر الآخرة فقط، وقيل: المراد أمر الدنيا فقط، وهو: الفتح، والظفر، والنصر على الأعداء. وقيل: المراد مجموع الأمرين" انتهى.

فصل الأمر الأول بقتل الأبناء واستحياء النساء

قال تعالى: ﴿إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين﴾ [القصص]

قال أبو الليث السمرقندي: "وجعل أهلها شيعا يعني: أهل مصر فرقا يستضعف يعني: يستقهر طائفة منهم يعني: من أهل مصر، وهم بنو إسرائيل، فجعل بعضهم ينقل الحجارة من الجبل، وبعضهم يعملون له عمل النجارة، وبعضهم أعمال الطين، ومن كان لا يصلح لشيء من أعماله يأخذ منه كل يوم ضريبة درهما، فإذا غربت الشمس، ولم يأت بالضريبة غلت عليه يده اليمنى إلى عنقه، ويأمره بأن يعمل بشماله هكذا شهرا" انتهى.

قال الماوردي: " قوله تعالى: ﴿إن فرعون علا في الأرض﴾ فيه ثلاثة أقاويل: أحدها: ببغيه في استعباد بني إسرائيل وقتل أولادهم، قاله قتادة. الثاني: بكفره وادعاء الربوبية. الثالث: بملكه وسلطانه. وهذه الأرض أرض مصر لأن فرعون ملك مصر، ولم يملك الأرض كلها، ومصر تسمى الأرض ولذلك قيل لبعض نواحيها الصعيد.

وفي علوه وجهان: أحدهما: هو لظهوره في غلبته. الثاني: كبره وتجبره. ﴿وجعل أهلها شيعا﴾ أي فرقا. قاله قتادة: فرق بين بني إسرائيل والقبط. ﴿يستضعف طائفة منهم﴾ وهم بنو

إسرائيل بالاستعباد بالأعمال القذرة. ﴿يذبح أبناءهم﴾ قال السدي: إن فرعون رأى في المنام أن نارا أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقت القبط وتركت بني إسرائيل، فسأل علماء قومه عن تأويله، فقالوا: يخرج من هذا البلد رجل يكون على يده هلاك مصر، فأمر بذبح أبنائهم واستحياء نسائهم، وأسرع الموت في شيوخ بني إسرائيل فقال القبط لفرعون: إن شيوخ بني إسرائيل قد فنوا بالموت وصغارهم بالقتل فاستبقهم لعملنا وخدمتنا أن يستحيوا في عام ويقتلوا في عام فولد هارون في عام الاستحياء وموسى في عام القتل.

وطال بفرعون العمر حتى حكى النقاش أنه عاش أربعمائة سنة وكان دميما قصيرا، وكان أول من خضب بالسواد. وعاش موسى مائة وعشرين سنة." انتهى

قال الواحدي في البسيط: " وقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ أي بالعمل في الأرض بالمعاصي. قاله ابن عباس ومقاتل. وقال الكلبي: من المفسدين بالقتل" انتهى

قال ابن كثير: "وقوله: ﴿يستضعف طائفة منهم﴾ يعني: بني إسرائيل. وكانوا في ذلك الوقت خيار أهل زمانهم. هذا وقد سلط عليهم هذا الملك الجبار العنيد يستعملهم في أخس الأعمال، ويكدهم ليلا ونهارا في أشغاله وأشغال رعيته، ويقتل مع هذا أبناءهم، ويستحيي نساءهم، إهانة لهم واحتقارا، وخوفا من أن يوجد منهم الغلام الذي كان قد تخوف هو

وأهل مملكته من أن يوجد منهم غلام، يكون سبب هلاكه وذهاب دولته على يديه. وكانت القبط قد تلقوا هذا من بني إسرائيل فيما كانوا يدرسونه من قول إبراهيم الخليل، حين ورد الديار المصرية، وجرى له مع جبارها ما جرى، حين أخذ سارة ليتخذها جارية، فصانها الله منه، ومنعه منها بقدرته وسلطانه. فبشر إبراهيم عليه السلام ولده أنه سيولد من صلبه وذريته من يكون هلاك ملك مصر على يديه، فكانت القبط تتحدث بهذا عند فرعون، فاحترز فرعون من ذلك، وأمر بقتل ذكور بني إسرائيل، ولن ينفع حذر من قدر؛ لأن أجل الله إذا جاء لا يؤخر، ولكل أجل كتاب؛ ولهذا قال: ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين. ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾. وقد فعل تعالى ذلك بهم، كما قال: ﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون﴾ وقال: ﴿كذلك وأورثناها بني إسرائيل﴾، أراد فرعون بحوله وقوته أن ينجو من موسى، فما نفعه ذلك مع قدر الملك العظيم الذي لا يخالف أمره القدري، بل نفذ حكمه وجرى قلمه في القدم بأن يكون إهلاك فرعون على يديه، بل يكون هذا الغلام الذي احترزت من وجوده، وقتلت بسببه ألوفا من الولدان إنما منشؤه ومرباه على فراشك، وفي

دارك، وغذاؤه من طعامك، وأنت تربيه وتدلله وتتفداه، وحتفك، وهلاكك وهلاك جنودك على يديه، لتعلم أن رب السموات العلا هو القادر الغالب العظيم، العزيز القوي الشديد المحال، الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن" انتهى

قال السيوطي في الدر المنثور: "أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: لقد ذكر لنا أنه كان ليأمر بالقصب فيشق حتى يجعل أمثال الشفار، ثم يصف بعضه إلى بعض، ثم يؤتى بحبالى من بني إسرائيل فيوقفن عليه، فيحز أقدامهن، حتى إن المرأة منهن لتمصع بولدها، فيقع بين رجليها، فتظل تطؤه وتتقي به حد القصب عن رجليها لما بلغ من جهدها، حتى أسرف في ذلك وكاد يفنيهم، قيل له: أفنيت الناس، وقطعت النسل، وإنما هم خولك وعمالك، فتأمر أن يقتلوا الغلمان عاما، ويستحيوا عاما. فولد هارون في السنة التي يستحيا فيها الغلمان، وولد موسى في السنة التي فيها يقتلون، وكان هارون أكبر منه بسنة، فلما أراد الله بموسى ما أراد، واستنقاذ بني إسرائيل مما هم فيه من البلاء، أوحى الله إلى أم موسى حين تقارب ولادها: ﴿أن أرضعيه﴾" انتهى.

فصل في سجون فرعون

قال تعالى: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ﴾

قال السمرقندي: " فلما عجز عن الجواب، مال إلى العقوبة كما يفعل السلاطين قال لئن اتخذت إلها غيري يعني: لئن عبدت ربا غيري. لأجعلنك من المسجونين يعني: لأحبسنك في السجن. قال ابن عباس: «وكان سجنه أشد من القتل»" انتهى

قال الثعلبي: " قال الكلبي: وكان سجنه أشدّ من القتل لأنه كان يأخذ الرجل إذا سجنه فيطرحه في مكان وحده فردا لا يسمع ولا يبصر فيه شيئا، يهوى به في الأرض." انتهى.

قال الزمخشري: " فإن قلت: ألم يكن: لأسجننك، أخصر من لأجعلنك من المسجونين ومؤديا مؤداه؟ قلت: أما أخصر فنعم. وأما مؤد مؤداه فلا، لأن معناه: لأجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم في سجونى. وكان من عادته أن يأخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الأرض بعيدة العمق فردا لا يبصر فيها ولا يسمع، فكان ذلك أشد من القتل وأشد" انتهى.

قال الآلوسي: "وكان - عليه اللعنة - يطرحهم في هوة عميقة، قيل: عمقها خمسمائة ذراع، وفيها حيات وعقارب حتى يموتوا." انتهى.

قال الطبطبائي: "واتخاذ إله غيره كناية عن القول بربوبية رب العالمين الذي يدعو إليه موسى وإنما لم يذكره صوناً للسانه عن التفوّه باسمه، ولم يعبأ بسائر الآلهة التي كانوا يعبدونها استكباراً وعلوّاً، وكأن السجن كان جزاء المعرضين عنه المنكرين لألوهيته." انتهى.

فصل في مقدمات العذاب الذي حاق بآل فرعون

قال تعالى: ﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون (١٣٠) فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون (١٣١) وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين (١٣٢) فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين (١٣٣) ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل (١٣٤) فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون (١٣٥) فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين (١٣٦) وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمت ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون﴾ [الأعراف]

قال ابن كثير: يقول تعالى: ﴿ولقد أخذنا آل فرعون﴾ أي: اختبرناهم وامتحناهم وابتليناهم ﴿بالسنين﴾ وهي سني الجوع بسبب قلة الزروع ﴿ونقص من الثمرات﴾ قال مجاهد: وهو دون ذلك.

وقال أبو إسحاق، عن رجاء بن حيوة: كانت النخلة لا تحمل إلا ثمرة واحدة.

﴿لعلهم يذكرون * فإذا جاءتهم الحسنة﴾ أي: من الخصب والرزق ﴿قالوا لنا هذه﴾ أي: هذا لنا بما نستحقه:، ﴿وإن تصبهم سيئة﴾ أي: جدب وقحط ﴿يطيروا بموسى ومن معه﴾ أي: هذا بسببهم وما جاؤوا به.

﴿ألا إنما طائرهم عند الله﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿ألا إنما طائرهم عند الله﴾ يقول: مصائبهم عند الله، قال الله: ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾

وقال ابن جريج، عن ابن عباس قال: ﴿ألا إنما طائرهم عند الله﴾ قال: إلا من قبل الله" انتهى.

قال السيوطي في الدر المنثور: " وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وأبو الشيخ، عن عطاء قال: الطوفان: الموت.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وأبو الشيخ، عن مجاهد قال: الطوفان الموت على كل حال. وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وأبو الشيخ، عن ابن عباس قال: الطوفان الغرق. وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن ابن عباس قال: الطوفان أن مطروا دائما بالليل والنهار ثمانية أيام، والقمل، الجراد الذي ليس له أجنحة. وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس قال: الطوفان أمر من أمر ربك ثم قرأ: ﴿فطاف عليها طائف من ربك﴾.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس قال: أرسل الله على قوم فرعون الطوفان - وهو المطر - فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا المطر فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا ربه فكشف عنهم، فأنبت الله لهم في تلك السنة شيئا لم ينبته قبل ذلك من الزرع والكلأ، فقالوا: هذا ما كنا نتمنى، فأرسل الله عليهم الجراد، فسلطه عليهم، فلما رأوه عرفوا أنه لا يبقي الزرع قالوا مثل ذلك، فدعا ربه فكشف عنهم الجراد، فداسوه وأحرزوه في البيوت، فقالوا: قد أحرزنا، فأرسل الله عليهم القمل: وهو السوس الذي يخرج من الحنطة، فكان الرجل يخرج بالحنطة عشرة أجربة إلى الرحى، فلا يرد منها بثلاثة أقفزة، فقالوا مثل ذلك فكشف عنهم، فأبوا أن يرسلوا معه بني إسرائيل، فبينا موسى عند فرعون إذ سمع نقيق ضفدع من نهر فقال: يا فرعون ما تلقى أنت وقومك من هذا الضفدع ؟ فقال: وما عسى أن يكون عند هذا الضفدع فما أمسوا حتى كان الرجل يجلس إلى ذقنه في الضفادع، وما منهم من أحد يتكلم إلا وثب ضفدع في فيه، وما من شيء من آنيتهم إلا وهي ممتلئة من الضفادع، فقالوا مثل ذلك، فكشف عنهم فلم يفوا، فأرسل الله عليهم الدم، فصارت أنهارهم دما، وصارت آبارهم دما، فشكوا إلى فرعون ذلك، فقال: ويحكم، قد سحركم. فقالوا: ليس نجد من مائنا شيئا في إناء ولا بئر ولا نهر إلا ونجده

طعم الدم العبيط، فقال فرعون: يا موسى، ادع لنا ربك يكشف عنهم فكشف عنهم الدم، فلم يفوا.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس في قوله: ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان﴾: وهو المطر، حتى خافوا الهلاك، فأتوا موسى، فقالوا: يا موسى، ادع لنا ربك أن يكشف عنا المطر فإنا نؤمن لك، ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا ربه فكشف عنهم المطر فأنبت الله به حرثهم، وأخصبت بلادهم فقالوا: ما نحب أنا لم نمطر ولن نترك آلهتنا، ونؤمن بك، ولن نرسل معك بني إسرائيل، فأرسل الله عليهم الجراد، فأسرع في فساد زروعهم وثمارهم قالوا: يا موسى، ادع لنا ربك أن يكشف عنا الجراد، فإنا سنؤمن لك، ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا ربه فكشف عنهم الجراد، وكان قد بقي من زرعهم ومعايشهم بقايا فقالوا: قد بقي لنا ما هو كافينا، فلن نؤمن لك، ولن نرسل معك بني إسرائيل، فأرسل الله عليهم القمل وهو الدبى، فتتبع ما كان ترك الجراد، فجزعوا وخشوا الهلاك فقالوا: يا موسى، ادع لنا ربك يكشف عنا الدبى، فإنا سنؤمن لك، ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا ربه فكشف عنهم الدبى، فقالوا: ما نحن لك بمؤمنين ولا مرسلين معك بني إسرائيل، فأرسل الله عليهم الضفادع فملأ بيوتهم منها، ولقوا منها أذى شديدا لم يلقوا مثله فيما كان قبله، كانت تثب في قدورهم فتفسد عليهم طعامهم وتطفئ نيرانهم، قالوا: يا موسى، ادع لنا ربك

أن يكشف عنا الضفادع، فقد لقينا منها بلاء وأذى، فإنا سنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا ربه فكشف عنهم الضفادع فقالوا: لا نؤمن لك، ولا نرسل معك بني إسرائيل، فأرسل الله عليهم الدم، فجعلوا لا يأكلون إلا الدم، ولا يشربون إلا الدم، قالوا: يا موسى، ادع لنا ربك أن يكشف عنا الدم، فإنا سنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا ربه، فكشف عنهم الدم، فقالوا: يا موسى لن نؤمن لك، ولن نرسل معك بني إسرائيل، فكانت آيات مفصلات بعضها إثر بعض، لتكون لله الحجة عليهم، فأخذهم الله بذنوبهم، فأغرقهم في اليم.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن مجاهد في قوله: ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان﴾، قال: الماء والطاعون ﴿والجراد﴾، قال: تأكل مسامير رتجهم -يعني أبوابهم- وثيابهم، ﴿والقمل﴾ الدبى، ﴿والضفادع﴾ تسقط على فرشهم، وفي أطعمتهم، ﴿والدم﴾ يكون في ثيابهم ومائهم وطعامهم.

وأخرج أبو الشيخ، عن عطاء قال: بلغني أن الجراد لما سلط على بني إسرائيل أكل أبوابهم حتى أكل مساميرهم" انتهى.

وقال بعد قليل: "وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس قال: كانت الضفادع برية، فلما أرسلها الله على آل فرعون سمعت وأطاعت، فجعلت تقذف نفسها في القدر وهي تغلي، وفي التنانير، وهي تفور فأثابها الله بحسن طاعتها برد الماء.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن ابن عباس قال: لم يكن شيء أشد على آل فرعون من الضفادع، كانت تأتي القدور وهي تغلي فتلقي أنفسها فيها، فأورثها الله برد الماء والثرى إلى يوم القيامة.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن عبد الله بن عمرو قال: لا تقتلوا الضفادع، فإنها لما أرسلت على آل فرعون انطلق ضفدع منها، فوقع في تنور فيه نار، طلبت بذلك مرضاة الله، فأبدلهن الله أبرد شيء نعلمه؛ الماء، وجعل نقيقهن التسبيح" انتهى.

وقال بعد قليل: "وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن مجاهد قال: سال النيل دما، فكان الإسرائيلي يستقي ماء طيبا، ويستقي الفرعوني دما، ويشتركان في إناء واحد، فيكون ما يلي الإسرائيلي ماء طيبا، وما يلي الفرعوني دما.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن قتادة قال: أرسل الله عليهم الدم، فكانوا لا يغترفون من مائهم إلا دما أحمر، حتى لقد ذكر لنا أن فرعون كان يجمع بين

الرجلين على الإناء الواحد؛ القبطي والإسرائيلي، فيكون ما يلي الإسرائيلي ماء، وما يلي القبطي دما.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن زيد بن أسلم في قوله: ﴿والدم﴾ قال: سلط الله عليهم الرعاف.

وأخرج أحمد في "الزهد"، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن نوف الشامي قال: مكث موسى في آل فرعون بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم الآيات؛ الجراد، والقمل، والضفادع، والدم، فيأبون أن يسلموا.

وأخرج أبو الشيخ، عن ابن عباس قال: مكث موسى في آل فرعون بعد ما غلب السحرة أربعين سنة يريهم الآيات؛ الجراد والقمل والضفادع.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن ابن عباس في قوله: ﴿آيات مفصلات﴾ قال: كانت آيات مفصلات بعضها على إثر بعض؛ ليكون لله الحجة عليهم.

وأخرج ابن المنذر، عن ابن عباس في قوله: ﴿آيات مفصلات﴾ قال: يتبع بعضها بعضا، تمكث فيهم سبتا إلى سبت، ثم ترفع عنهم شهرا.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير قال: كان بين كل آيتين من هذه الآيات ثلاثون يوما.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن زيد بن أسلم قال: كانت الآيات التسع في تسع سنين في كل سنة آية" انتهى.

وقال: " قوله تعالى: ﴿ولما وقع عليهم الرجز﴾ الآية.

أخرج ابن مردويه عن عائشة، عن النبي ﷺ قال: «"الرجز العذاب. «"

وأخرج ابن أبي حاتم، عن ابن عباس قال: أمر موسى بني إسرائيل فقال: ليذبح كل رجل منكم كبشا، ثم ليخضب كفه في دمه، ثم ليضرب على بابه فقالت القبط لبني إسرائيل: لم تجعلون هذا الدم على بابكم ؟ قال: إن الله يرسل عليكم عذابا فنسلم وتهلكون، قال القبط: فما يعرفكم الله إلا بهذه العلامات قالوا: هكذا أمرنا نبينا، فأصبحوا وقد طعن من قوم فرعون سبعون ألفا، فأمسوا وهم لا يتدافنون، فقال فرعون عند ذلك: ﴿ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل﴾ والرجز: الطاعون، فدعا ربه فكشفه عنهم، فكان أوفاهم كلهم فرعون، قال: اذهب ببني إسرائيل حيث شئت.

وأخرج أبو الشيخ، عن سعيد بن جبير قال: ألقى الله الطاعون على آل فرعون، فشغلهم بذلك حتى خرج موسى، فقال موسى لبني إسرائيل: اجعلوا أكفكم في الطين والرماد، ثم ضعوه على أبوابكم؛ كيما يجتنبكم ملك الموت، قال فرعون: أما يموت من عبيدنا أحد؟ قالوا: لا، قال: أليس هذا عجبا أنا نؤخذ ولا يؤخذون؟

وأخرج عبد بن حميد، عن سعيد بن جبير: ﴿لئن كشفت عنا الرجز﴾ قال: الطاعون" انتهى.

فصل في إخراج بني إسرائيل من مصر وكيد فرعون بهم

قال تعالى: ﴿وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي إنكم متبعون (٥٢) فأرسل فرعون في المدائن حاشرين (٥٣) إن هؤلاء لشرذمة قليلون (٥٤) وإنهم لنا لغائظون (٥٥) وإنا لجميع حاذرون﴾ [الشعراء]

قال تعالى: ﴿ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى﴾ [طه]

قال تعالى: ﴿فأسر بعبادى ليلا إنكم متبعون﴾ [الدخان]

قال الطبري: " وقوله: ﴿وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي﴾ يقول: وأوحينا إلى موسى إذ تمادى فرعون في غيه وأبى إلا الثبات على طغيانه بعد ما أريناه آياتنا، أن أسر بعبادي: يقول: أن سر ببني إسرائيل ليلا من أرض مصر. ﴿إنكم متبعون﴾ إن فرعون وجنده متبعوك وقومك من بني إسرائيل، ليحولوا بينكم وبين الخروج من أرضهم، أرض مصر" انتهى.

وقال بعد قليل: "حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله:

﴿إن هؤلاء لشرذمة قليلون﴾ قال: هم يومئذ ست مئة ألف، ولا يحصى عدد أصحاب فرعون.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: ﴿وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي إنكم متبعون﴾ قال: أوحى الله إلى موسى أن اجمع بني إسرائيل، كل أربعة أبيات في بيت، ثم اذبحوا أولاد الضأن، فاضربوا بدمائها على الأبواب، فإني سآمر الملائكة أن لا تدخل بيتا على بابه دم، وسآمرهم بقتل أبكار آل فرعون من أنفسهم وأموالهم، ثم اخبزوا خبزا فطيرا، فإنه أسرع لكم، ثم أسر بعبادي حتى تنتهي للبحر، فيأتيك أمري، ففعل؛ فلما أصبحوا قال فرعون: هذا عمل موسى وقومه قتلوا أبكارنا من أنفسنا وأموالنا، فأرسل في أثرهم ألف ألف وخمس مئة ألف وخمس مئة ملك مسور، مع كل ملك ألف رجل، وخرج فرعون في الكرش العظمى، وقال ﴿إن هؤلاء لشرذمة قليلون﴾ قال: قطعة، وكانوا ست مئة ألف، مئتا ألف منهم أبناء عشرين سنة إلى أربعين.

قال: ثني حجاج، عن أبي بكر بن حوشب، عن ابن عباس، قال: كان مع فرعون يومئذ ألف جبار، كلهم عليه تاج، وكلهم أمير على خيل.

قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: كانوا ثلاثين ملكا ساقة خلف فرعون يحسبون أنهم معهم وجبرائيل أمامهم، يرد أوائل الخيل على أواخرها، فأتبعهم حتى انتهى إلى البحر،

وقوله: ﴿وإنهم لنا لغائظون﴾ يقول: وإن هؤلاء الشرذمة لنا لغائظون، فذكر أن غيظهم إياهم كان قتل الملائكة من قتلت من أبكارهم" انتهى.

قال الماتريدي: "وفي خروج موسى ببني إسرائيل مع كثرتهم على ما ذكر أنهم كانوا ستمائة ألف فصاعداً من غير أن علم القبط بذلك - آية عظيمة؛ إذ لا يقدر نفر الخروج من محلة أو ناحية إلا ويعلم أهلها بخروجهم، ففي ذلك كان آية عظيمة؛ حيث خرجوا من بينهم من غير أن علم أحد منهم بذلك" انتهى.

قال الماوردي: " واختلف في عدد بني إسرائيل حين قال فرعون فيهم: إنهم لشرذمة قليلون، على أربعة أقاويل: أحدها: ستمائة وتسعين ألفا، قال مقاتل: لا يعد ابن عشرين سنة لصغره ولا ابن ستين لكبره، وهو قول السدي. الثالث: كانوا ستمائة ألف مقاتل، قاله قتادة. الرابع: كانوا خمسمائة ألف وثلاثة آلاف وخمسمائة، وإنما استقل هذا العدد لأمرين: أحدهما: لكثرة من قتل منهم. الثاني: لكثرة من كان معه، حكى السدي أنه كان على مقدمته هامان في ألف ألف وسبعمائة ألف حصان ليس فيها ماديانه، وقال الضحاك كانوا سبعة آلاف ألف" انتهى.

قال السمعاني: "وقوله: ﴿إنكم متبعون﴾ يعني: يتبعكم فرعون وقومه، وعن عمرو بن ميمون قال: لما بلغ فرعون أن موسى وقومه قد ساروا، قال لقومه: إذا صاح الديك

فاركبوا، فلم يصح ديك في تلك الليلة، حتى بعد موسى وقومه، فلما أصبح دعا بشاة، وأمر بذبحها، ثم قال: لا تسلخ هذه الشاة إلا وقد اجتمع خمسمائة ألف مقاتل، قال: فلم يفرغ السلاخ عن السلخ إلا وقد كان اجتمع خمسمائة ألف مقاتل عددا.

وذكر غيره: أن الملائكة دخلوا بيوت القبط وقتلوا أبكارهم، فاشتغلوا صبيحة ذلك اليوم بدفن الأبكار.

قوله تعالى: ﴿فأرسل فرعون في المدائن حاشرين﴾ يعني: أرسل الشرط المدائن حتى حشروا الناس. وفي التفاسير: أنه كان ألف مدينة واثنا عشر ألف قرية" انتهى.

قال الزمخشري: " علل الأمر بالإسراء باتباع فرعون وجنوده آثارهم. والمعنى: أني بنيت تدبير أمركم وأمرهم على أن تتقدموا ويتبعوكم، حتى يدخلوا مدخلكم، ويسلكوا مسلككم من طريق البحر، فأطبقه عليهم فأهلكهم. وروي: أنه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم ولد، فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه" انتهى.

قال الطاهر ابن عاشور: " والإشارة بـ (هؤلاء) إلى حاضر في أذهان الناس؛ لأن أمر بني إسرائيل قد شاع في أقطار مصر في تلك المدة التي بين جمع السحرة وبين خروج بني إسرائيل، وليست الإشارة للسحرة خاصة؛ إذ لا يلتئم ذلك مع القصة.

وفي اسم الإشارة إيماء إلى تحقير لشأنهم أكده التصريح بأنهم شرذمة قليلون.

والشرذمة: الطائفة القليلة من الناس، هكذا فسره المحققون من أئمة اللغة، فإتباعه بوصف (قليلون) للتأكيد لدفع احتمال استعمالها في تحقير الشأن أو بالنسبة إلى جنود فرعون، فقد كان عدد بني إسرائيل الذين خرجوا ستمائة ألف، هكذا قال المفسرون، وهو موافق لما في سفر العدد من التوراة في الإصحاح السادس والعشرين." انتهى.

فصل في إغراق فرعون

قال تعالى: ﴿وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم (٤٩) وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون﴾ [البقرة]

قال تعالى: ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين (٩٠) آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين (٩١) فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون﴾ [يونس]

قال تعالى: ﴿وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي إنكم متبعون (٥٢) فأرسل فرعون في المدائن حاشرين (٥٣) إن هؤلاء لشرذمة قليلون (٥٤) وإنهم لنا لغائظون (٥٥) وإنا لجميع حاذرون (٥٦) فأخرجناهم من جنات وعيون (٥٧) وكنوز ومقام كريم (٥٨) كذلك وأورثناها بني إسرائيل (٥٩) فأتبعوهم مشرقين (٦٠) فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون (٦١) قال كلا إن معي ربي سيهدين (٦٢) فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم (٦٣) وأزلفنا ثم الآخرين (٦٤) وأنجينا موسى ومن معه أجمعين (٦٥) ثم أغرقنا الآخرين﴾ [الشعراء]

قال تعالى: ﴿ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى (٧٧) فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم (٧٨) وأضل فرعون قومه وما هدى (٧٩) يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن ونزلنا عليكم المن والسلوى﴾ [طه]

قال تعالى: ﴿ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم (١٧) أن أدوا إلي عباد الله إني لكم رسول أمين (١٨) وأن لا تعلوا على الله إني آتيكم بسلطان مبين (١٩) وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون (٢٠) وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون (٢١) فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون (٢٢) فأسر بعبادي ليلا إنكم متبعون (٢٣) واترك البحر رهوا إنهم جند مغرقون (٢٤) كم تركوا من جنات وعيون (٢٥) وزروع ومقام كريم (٢٦) ونعمة كانوا فيها فاكهين (٢٧) كذلك وأورثناها قوما آخرين (٢٨) فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين (٢٩) ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين (٣٠) من فرعون إنه كان عاليا من المسرفين﴾ [الدخان]

قال الشنقيطي: " قوله تعالى: ﴿وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم﴾ لم يبين هنا كيفية فرق البحر بهم، ولكنه بين ذلك في مواضع أخر كقوله: ﴿فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك

البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم﴾، وقوله: ﴿ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا﴾ الآية.

قوله تعالى: ﴿وأغرقنا آل فرعون﴾ لم يبين هنا كيفية إغراقهم ولكنه بينها في مواضع أخر كقوله: ﴿فأتبعوهم مشرقين﴾ ﴿فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون﴾ ﴿قال كلا إن معي ربي سيهدين﴾ ﴿فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم﴾ ﴿وأزلفنا ثم الآخرين﴾ ﴿وأنجينا موسى ومن معه أجمعين﴾ ﴿ثم أغرقنا الآخرين﴾، وقوله: ﴿فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم﴾.

وقوله: ﴿واترك البحر رهوا إنهم جند مغرقون﴾، وقوله: ﴿رهوا﴾، أي: ساكنا على حالة انفلاقه حتى يدخلوا فيه إلى غير ذلك من الآيات" انتهى.

وقال بعد قليل: " قوله عز وجل: فلما تراءا الجمعان يعني: تقاربا ورأى بعضهم بعضا، وذلك أن فرعون أرسل في المدائن حاشرين ليحشروا الناس، فركب وركب معه ألف ألف ومائتا ألف فارس سوى الرجالة، أي المشاة، فلما دنوا من عسكر موسى قال أصحاب موسى لموسى عليه السلام إنا لمدركون يعني: يدركنا فرعون قال موسى كلا لا يدرككم إن معي ربي سيهدين يعني: سينجيني ويهديني إلى طريق النجاة" انتهى

فصل في نجاة بني إسرائيل

قال تعالى: ﴿وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم (٤٩) وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون﴾ [البقرة]

قال تعالى: ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون﴾

قال تعالى: ﴿وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾ [الأعراف]

قال تعالى: ﴿يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن ونزلنا عليكم المن والسلوى﴾ [طه]

خاتمة

قال تعالى: ﴿هل أتاك حديث موسى (١٥) إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى (١٦) اذهب إلى فرعون إنه طغى (١٧) فقل هل لك إلى أن تزكى (١٨) وأهديك إلى ربك فتخشى (١٩) فأراه الآية الكبرى (٢٠) فكذب وعصى (٢١) ثم أدبر يسعى (٢٢) فحشر فنادى (٢٣) فقال أنا ربكم الأعلى (٢٤) فأخذه الله نكال الآخرة والأولى (٢٥) إن في ذلك لعبرة لمن يخشى﴾ [النازعات]

ساق الطبري بإسناده: "عن مجاهد، في قوله: ﴿فأخذه الله نكال الآخرة والأولى﴾ قال: هو قوله: ﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾، وقوله: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ وكان بينهما أربعون سنة" انتهى.

تمت الرسالة بحمد الله

ووقع الفراغ منها صبيحة الثلاثاء الخامس والعشرين من رمضان عام ألف وأربعمئة وثلاثة وأربعين من الهجرة النبوية المباركة، والذي يقع في السادس والعشرين من أبريل عام ألفين واثنين وعشرين من الميلاد.

إن انتفعت بالرسالة فأشرك من تحبه فيها، ولا تنس كاتبها من دعائك.

albara1500@hotmail.com

فهرست

استهلال 3

مقدمة 4

توطئة 5

تنبيهات 6

فصل في دين فرعون 7

فصل في عدة من آمن بموسى عليه السلام 12

فصل في امرأة فرعون 24

فصل في ماشطة ابنة فرعون 28

فصل في مؤمن آل فرعون 29

فائدة في مبدأ إيمان مؤمن آل فرعون 34

فصل في السحرة 35

فصل في إيمان السحرة 41

فائدة في معنى إكراه السحرة على السحر 43

فصل في تهديد السحرة 46

فصل رجل من أقصى المدينة 49

فصل في حال سائر المؤمنين بعد إيمان السحرة 54

فصل الأمر الثاني بقتل أبناء المؤمنين واستحياء نسائهم 56

فصل الأمر الأول بقتل الأبناء واستحياء النساء 62

فصل في سجون فرعون 66

فصل في مقدمات العذاب الذي حاق بآل فرعون 68

فصل في إخراج بني إسرائيل من مصروكيد فرعون بهم 77
فصل في إغراق فرعون 82
فصل في نجاة بني إسرائيل 85
خاتمة 86